الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون - تيارت –
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي

شعبة: الدراسات الأدبية تخصص: أدب حديث ومعاصر

فنّ السيــرة الذّاتية في الأدب الفلسطيني " سأكون بين اللّوز " لحسين جميل البرغوثي أنموذجًا

إعداد الطالبتين

- لة فاطمة الزهرة بوغفا
- سعاد جغيم

إشراف الأستاذ:

- د. تركي أمحمد

أعضاء لجنة المناقشة

اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د.شريفي فاطمة	أستاذ التعليم العالي	جامعة تيارت	رئيسا
أ.د. تركي أمحمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة تيارت	مشرفا ومقررا
أ.د.يوسفي يوسف	أستاذ التعليم العالي	جامعة تيارت	مناقشا

السنة الجامعية

1444/1443هـ

2023/2022م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكـر و عرفـان

الحمد لله الذي وفقنا لإكمال هذا البحث ، فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه و عظيم سلطانه.

نتقدم بفائق شكرنا و امتناننا و عرفاننا لأستاذنا المشرف " تركي أمحمد " الذي سعى جاهداً لتصويب هذا العمل ، و الذي رافقنا فيه طوال مشوارنا هذا ، و الذي لولا حِرصه الشديد و مساعدته الكبيرة لما رأى هذا البحث النور ، فجزاه الله خير الجزاء ، و نفعنا الله بعلمه و عظيم أخلاقه .

كما نتقدم بشكرنا لكل من الأستاذ " مزيلط محمد" و الأستاذ " بوزيان أحمد" و الأستاذ " كبريت علي " الذين مدُّوا لنا يدَّ العون لانجاز هذا البحث .

نتقدم بجزيل الشكر لكل من الأستاذين " فادي البرغوثي " و "آثر البرغوثي" و اللذان أمدَّانا بكل ما نحتاج من معلومات عن الراحل حسين البرغوثي .

و نشكر كل من الأستاذين " يوسف يوسفي " و "شريفي فاطمة " اللذان تكرما بقبول قراءة و مناقشة هذه المذكرة .

و إلى أولئك الذين دعمونا و ساندونا ، و قدموا لنا يد المساعدة من قريب أو من بعيد.

الإهـداء

لأبي بطلي ، الرّجل الأول الذي عرفته ، لكل شيبة من شعره و لكل تجاعيد وجهه ، للنور الذي أستمده من حضوره.

أهدي هذا العمل لأمي التي زرعت أحلامها في ابنتها ، لجنّتي في الأرض و نورعيني.

لزوجي يوسف ، كتفي الثالث ، و ظهري الداعم لعصاي التي أتوكأ عليها لربيع قلبي و بهجة الحياة .

لإخوتي أعمدتي الأربعة ، هم بيتي الدافئ .

لصديقة الطفولة التي لعِبت معها لعبة الاختباء في الصِغر ، و شاركتها البحث في الكبر ، رفيقة الدَّرب سعاد .

إلى زوجة عمي التي كانت بمثابة الأم ، لعزيزتي التي مشطت شعري و غسلت ثيابي . لانتظارها هذا اليوم ، الذي لن تحضر فيه . رحمها الله و رزقها بيتاً في الجنة هي و كل من تحبهم.

إليكم أهدي هذا العمل ، فأنا بكم فاطمة ، و بدونكم لن أكون.

بوغفالة فاطمة الزهرة

الإهـــداء

إلى من وضع المولى سبحانه و تعالى الجنة تحت قدميها ، و وقرها في كتابه العزيز ... أمي الحبيبة (شفاها الله ... و أطال في عمرها)

إلى من سيطر على أذهاننا في كل مسلك نسلكه.. خالد الذِّكر.. صاحب الوجه الطيب.. والـدي العزيز.

إلى من أضاء عليَّ نور السعادة ، و جعل مِني سلسبيل الهوى .. زوجي الحبيب " يوسف ".

إلى كل أفراد العائلة كبيراً و صغيراً.

إلى صديقتي التي أعدتها من الطفولة ، و جمعتني بها رسالة تخرجي "فاطـمة" ، و فقها الله و سدد خُطاها ، و سهل أمورها .

إلى كل الأصدقاء ، و إلى كل الأساتذة ، خاصة أستاذنا المشرف "تركي أمحمد" .

أهدي لكم بحث تخرجي هذا داعية من الله عز و جل أن يُطيل أعماركم لمشاركتي جميع نجاحـاتي.

جغيم سعـاد

مقدّمة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم و الصّلاة و السّلام على أشرف المرسلين سيدنا و حبيبنا محمد و على آله وصحبه أجمعين، و بعد:

إنَّ الحديث عن الأدب ، حديث ممتد و متشعب ، و فيه ما يؤثر في المتلقي ، و يجعله في حالة إصغاء تامة ، و من الأدب النثر الذي يحوي أجناساً كثيرة كان لها التأثير البارز في الساحات الأدبية .

و قد عرفت الآداب العالمية عدة أجناس ، و تأثرت بأخرى ، و منها الأدب العربي الذي شق طريقه نحو العالمية بإبرازه لأجناس جديدة و تطور أخرى، أو عن طريق تداخلها ببعض، و من الأجناس التي حاولت أن تصنع لها اسماً، و أن تكون في الواجهة هي السّيرة الذّاتية التي كان لها إرهاصات في الأدب العربي القديم ، و عند الغرب ، إلا أنها في الآونة الأخيرة ظهرت بشكل جلّي ، و واضح كجنس مستقل بذاته عن الرواية ، و القصة .

و تتعلق السيرة بالمبدع الذي يحاول أن يجعل من حياته الخاصة اللَّبِنة التي تشكل السيرة الذاتية . هذا عموما. أمَّا فيما يخص السيرة في الأدب الفلسطيني فهي تختلف بعض الشيئ ، و هذا عائد لعوامل شتَّى منها : الاحتلال الذي فرض على الأديب أن يكون مرآة للشعب فيكتب لوجهين أولا أن يشخص معاناته و آلامه ، و ثانيا أن يؤرخ لوطنه و بالتالي أصبحت السيرة مميزة في فلسطين ، و برزت أسماء أدباء تأثروا بالقضية الفلسطينية ، و جعلوا منها المرتكز الذي يُشكل و يميز سيرهم أمثال : مُريد البرغوثي ، إبراهيم نصر الله، إحسان عباس، و جبرا إبراهيم جبرا و من النساء : فدوى طوقان ، وغيرهم الكثير .

و منه كان موضوع بحثنا يدور حول هذا الجنس في الأدب الفلسطيني و قد جاء الموضوع موسوماً ب " فنّ السّيرة الذّاتية في الأدب الفلسطيني سأكون بين اللّوز لحسين جميل البرغوثي أنموذجا"، و من خلال طرحنا لهذا الموضوع نسعى للإجابة عن أهم التساؤلات التي قام على أساسها البحث، وهي :

- إلى أيّ حدّ أثر الواقع الفلسطيني في الأدب السّيري؟
- فيمَّ تتجلى التقنيات التي ميزت سيرة سأكون بين اللوز؟
- ما التّيمات التي طبعت مدونة سأكون بين اللوز؟

و من الأسباب التي قادتنا لدراسة هذا الموضوع و التي يمكن حصرها في : انجذابنا السابق لجنس السيرة الذاتية، بعد إطلاعنا المسبق لسير أدباء و قراءتنا لبعض النماذج ما جعلنا نميل لها واهتمامنا البالغ بإنتاج حسين البرغوثي، و الإعجاب بشخصيته المكافحة

و للإجابة عن الإشكالات المطروحة مسبقاً رسمنا خطة بحث قائمة على مقدمة ، و مدخل ، وفصلين تليهما خاتمة اشتملت على أهم النتائج المتوصل لها ، جاء الفصل الأول بعنوان : دراسة نظرية في فنّ السّيرة الذّاتية ، أما الفصل الثاني فقد عنوناه ب: البناء الفني و الموضوعات المشكلة لسيرة سأكون بين اللوز .

وقد استعنا في سبيل ذلك على المنهج التاريخي و كذا النفسي بالإضافة إلى آليات الوصف و التّحليل في البحث و رصد و وصف حركة هذا الجنس و تطوره في فلسطين .

و قد تم اختيار بعض المصادر و المراجع التي وجدنا فيها ضالّتنا و التي شكّلت في مجموعها مكتبة هذا البحث ، و التي ساهمت بدورها في تذليل الصّعوبات، نذكر منها:

- إحسان عباس : فن السَّيرة
- تهاني عبد الفتاح شاكر: السِّيرة الذَّاتية في الأدب العربي ، فدوى طوقان ، و جبرا إبراهيم جبرا ، و إحسان عباس نموذجاً.
- شعبان عبد الحكيم : السِّيرة الذَّاتية في الأدب العربي الحديث .
- عبد العزيز شرف : أدب السِّيرة الذَّاتية .

و قد اعترض طريقنا مجموعة من الصّعوبات، و العراقيل منها:

نُدرة الدّراسات السّابقة التي تناولت سيرة سأكون بين اللوز ،إضافة إلى بعض العراقيل الصّحية التي مسَّت والدة الطالبة سعاد جغيم .

و لا يسعنا في الأخير إلا أن نقدم ثنائنا و شكرنا لله عز و جل الذي أمدّنا بالعون ليرى هذا البحث المتواضع النّور ،كما نوجه شُكرَنا و امتناننا للأستاذ المشرف " تركي أمحمد" الذي تبنى بحثنا برحابة صدر ، و الشّكر موصول كذلك إلى أعضاء لجنة المناقشة ، التي تكفّلت بقراءة هذا العمل و تصويبه .

جامعة ابن خلدون . تيارت .

2023 . 05 . 14

الطالبتان :

- بوغفالة فاطمة الزهرة.
- جغيم سعاد.

المدخـل: مفاهيم السّيرة الذّاتيّة

1. السّيرة الغيرية
2. مفهوم السّيرة الذّاتية

أ - الميثاق السير ذّاتي

ب - الصراحة والصدق

3 - الفرق بين المصطلحات المتداخلة مع السّيرة الذّاتية

أ - المذكرات

ب - الاعترافات

ج -اليوميات

4- أسباب وحوافز كتابة السّيرة الذّاتية

مدخل:

السِّيرة هي ذلك الفن الذي لا يمكن حده ، إذ تتداخل معها كل الأجناس و هي الجنس الجديد الذي لم ينحصر على ذاته، بل شمل حياة المبدع و نفسيته و ذاته، و انصهرت بداخل هذا الجنس الحالات النَّفسية و السياسية و الاجتماعية ، و غيرها... المرتبطة بالذات المبدعة .

و قد ورد مصطلح السيرة قديما عند العرب فكان يدور حول :"السنة و الطّريقة و الهيئة" [1].

و هي نوعان : "سيرة غيرية و سيرة ذاتية "[2]

1. السّيرة الغيرية biography : هي قصة حياة شخص تاريخي مشهور كتبها غيره، و هي جنس أدبي من أجناس القصص المرجعي ، كُتبت في إطاره عدد كبير من النصوص في الثقافة العربية الإسلامية ابتداءً بسيرة الرسول عند ابن اسحاق و ابن هشام ، و في الثقافات الأوروبية حيث كان الأديب اليوناني بلوتارك "plutarque" ، و الأديب الروماني سويتون "sueton" من أوائل المبدعين في هذا الفن .[3]

و من خلال هذا القول نستنتج أن السيرة الغيرية تحتفي بالتاريخ و تلزم صاحبها بالصدق .

"فكاتب السيرة biographe محتاج هو أيضا إلى البحث في المصادر المكتوبة و الشفوية و التدقيق في الوثائق و النظر إلى الشخصية . موضوع السيرة. "[4]

---

[1] ينظر : ابن منظور ،لسان العرب ج4 .مادة سير ، دار صادر ، بيروت لبنان ، ط3 . 1994 ص 390

[2] ينظر ، عبد العزيز شرف ، أدب السيرة الذاتية ، الشركة المصرية العالمية للنشر . لونجمان . مصر، 1992 ، د ط ، ص 3

[3] محمد القاضي و آخرون ، معجم السرديات، دار تالة. الجزائر، ط 1 ، 2010، ص257. مادة سيرة .

[4] . المرجع نفسه، ص 258 .

يرى النقاد أن السيرة الغيرية تقوم على الموضوعية و تحاول أن تبتعد قدر الإمكان عن الذاتية وهي بهذا تقترب من التاريخ ، "لأنها تستعين به و بمصادره و ببعض أدواته" [1].

أما النوع الآخر للسّيرة الأدبية هو السّيرة الذّاتية.

يرى النّاقد المغربي محمد الدَّاهي في كتابه الحقيقة الملتبسة أن العرب قد تداولوا "مصطلحي السيرة و الترجمة ، و خصصوا لكل واحد منهما مجاله الخاص، و لم يصبح مصطلح السيرة الذاتية شائعا إلا اثر الاحتكاك بالحضارة الغربية خلال العصر الحديث، شاع في البداية مصطلح الترجمة الشخصية أو الذاتية ، ثم حل محله فيما بعد مصطلح السيرة الذاتية الذي لقي في العقود الأخيرة قبولا ، و رواجا في الأوساط الأدبية و النقدية على حد سواء "[2].

ولعل تطور مصطلح السّيرة الذّاتية يعود إلى ضيق مصطلح التّرجمة الذاتية إذ أن " الأخيرة كانت تقتصر على التّرجمة الحرفية للأدباء و المؤرخين "[3]. و تختلف السيرة الذاتية عن التّرجمة في أن الأخيرة " تهدف إلى التعريف الموجز بالمترجم له اسما و كنية و لقباً، تعقبها وقفة وجيزة على أخباره و نتاجه الأدبي أو العلمي ... و تتراوح هذه التراجم بين أسطر قليلة... و بين صفحات طويلة "[4] .

و منه فالترجمة بعيدة عن الإبداع الفني عكس السيرة الذاتية.

---

[1] ينظر محمد عبيد الله . رواية السيرة الغيرية قضايا الشكل و التناص و الجدل التاريخي و التخييلي ، دراسة في رواية مي ، ليالي إيزيس كوبيا ، لواسيني الأعرج . دار كاتارا للنشر ، ط1. قطر. 2020. ص47 .

[2] محمد الداهي .الحقيقة الملتبسة . قراءة في أشكال الكتابة عن الذات ، شركة النشر و التوزيع المدارس. ط 1، الدار البيضاء. المغرب 2007 ، ص 20 .

[3] ينظر . عبد المجيد البغدادي ، فن السيرة الذاتية و أنواعها في الأدب العربي ، مجلة القسم العربي ، باكستان . 2016، العدد 23 ، ص 203 .

[4] ينظر عبد الله ابراهيم . السردية العربية ، المركز الثقافي العربي . ط1. دار البيضاء . المغرب، 1992، ص 130.

2- مفهوم السّيرة الذّاتية:

عُرفت في كتاب التّراجم و السّير بالترجمة الذّاتية ، "و هي أن يكتب المرء بنفسه تاريخ نفسه ، فيسجل حوادثه ،و أخباره ، و يسرد أعماله و آثره ، و يذكر أيام طفولته ، و شبابه و كهولته ، و ما جرى له فيها من أحداث تعظم و تضؤل تبعا لأهميته" [1].

و هي بالتالي لا تخلو من الذاتية ، و بعيدة عن الموضوعية ، و تعبر عن الذات المبدعة بكل صدق فني.

و" ما أصدق الدكتور جونسون [*]الأديب الإنجليزي الشهير حيث يقول: إن حياة الرجل حيث يكتبها تعلمه هي أحسن ما يكتب عنه "[2].

و يعرفها الناقد فيليب لوجون Philippe Lejeune على هذا النحو " هي قصة استعادية نثرية يروي فيها شخص حقيقي (قصة) وجوده الخاص مركزاً حديثه على حياته الفردية ، و على تكوين شخصيته بالخصوص" [3].

و من تعريف الناقد فيليب لوجون ، نستخلص أن السيرة الذاتية تقوم و تتأسس على معايير و قوانين تضبط هذا المصطلح ، و قد ذكرها الناقد شكري المبخوت في نقاط هي:

1. شكل الكلام: إنَّ السّيرة الذّاتية هي أولا قصة و شرطها ثانيا أن تكون منثورة لا منظومة.

---

[1] محمد عبد الغني حسن. التراجم و السير. دار المعارف، القاهرة. 1955، ص 23.

[*] جونسون Sauel Johnson : ناقد و كاتب إنجليزي (1709 . 1784) من مؤلفاته حياة أبرز الشعراء الإنجليز .

[2] محمد عبد الغني حسن. التراجم و السير . ص 23

[3] شكري المبخوت ، سيرة الغائب سيرة الآتي . السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطه حسين ، دار الجنود للنشر ، تونس . 1992، ص 11.

2. موضوعها: مدار السيرة الذاتية حياة المتكلم الفرد و تاريخ شخص ما.

3. وضعية المؤلف : يجب أن يكون الكاتب في السّيرة الذاتية يحيل اسمه على شخص حقيقي متطابقا مع الراوي.

4. وضعية الراوي: يجب أن يكون الراوي في السّيرة الذّاتية متطابقا مع الشخصية الأساسية أولا ، و متشبثاً بالمنظور الاستعادي للقصة ثانياً [1].

و من هذه المقومات نستنتج أن للسيرة الذّاتية شروطاً تقوم عليها ، و لا يمكن أن نطلق على أي جنس مصطلح السّيرة الذّاتية إلا بتوفر هذه الشروط ، التي أقامها الناقد العملاق فيليب لوجون ، "وقد حاول معظم النقاد حصّر أهم معالم السّيرة الذّاتية في نقاط كمقومات أساسية للسيرة الذّاتية على الرَّغم من الصّعوبات في تحديد هذه المقومات ، و السبب يعود إلى مرونة هذا الجنس" [2].

و من أهم الشروط نجد:

1. الميثاق السِّير ذاتي: "و هو أن يندمج المؤلف الواقعي و الراوي و السّارد ، و الشّخصية الرّئيسية ... و السّيرة الذّاتية حسب ما جاء به الناقد فيليب لوجون، هي التي تتميز بالتصريح المباشر للكاتب بأنها سيرة ذاتية "[3]

[1] شكري لمبخوت ، سيرة الغائب سيرة الآتي، ص 11.

[2] ينظر زاوش رحمة ، التمرد في السرد السير الذاتي النسائي العربي المعاصر ، سيرة نوال سعداوي أنموذجا ، رسالة ماجستر ، قسم اللغة العربية و أدابها ، جامعة السانيا ، وهران ، 2012.2011 ، ص 13.

[3] رجاء مستور ، المكونات السيرية في الرواية الجزائرية ، لقبش لعياش يحياوي أنموذجا ، جسور المعرفة، الجزائر، 27،12،2021 . مج 7 ع 5، ص 508.

فالميثاق السير ذاتي هو عقد بين الكاتب و القارئ و يشترط الناقد فيليب لوجون الميثاق كشرط مهم تقوم عليه السّيرة ، يقول في كتابه السّيرة الذّاتية الميثاق و التاريخ الأدبي:" فلكي تكون هناك سيرة ذاتية ... يجب أن يكون هناك تطابق بين المؤلف و السّارد و الشّخصية " [1]

و هذا التطابق الثلاثي يفرض على كاتب السّيرة الذّاتية أن يلتزم بقول الحقيقة لا غير.

و قد فضّل الناقد فيليب لوجون استعمال مصطلح الميثاق على العقد فقال: "الميثاق يثير صوراً خرافية مثل المواثيق مع الشيطان التي نغمس فيها ريشتنا في دمنا من أجل بيع الروح " [2]

و بالتالي يصبح الميثاق بين الكاتب و القارئ ، ميثاقاً مقدساً لا يجوز فيه الكذب .

و شرط الميثاق سير ذاتي ينجرُّ وراءه شرط لا يخلو أهمية عنه و هو:

2. الصراحة و الصدق: "و هو ميثاق أخلاقي يرتبط بالكاتب و يفرض على المؤلف الالتزام بما أبرمه مع المتلقي بأن لا يقول غير الحقيقة مجردة و دون انتقاء ، و ليس هذا ببعيد عن الإعترافات التي يمارسها طالب الصفح من رجل الكنيسة "[3]

و هذا الشرط يجعل الكاتب يبتعد عن تزييف الحقائق ، و لكن يسمح له بإضافة بعض التخييل لتصبح السيرة الذاتية جنساً أدبياً فنياً ، كما يسمح له بعدم ذكر كل الحقائق ، الشرط هنا يلزمه بأن لا يكذب، و لا يزيف و يغير و يسمح له بأن يخفي بعض الحقائق التي لا يودُّ مشاركتها علناً مع

[1] فيليب لوجون ، السيرة الذاتية الميثاق و التاريخ الأدبي، تر: عمر حلي . المركز الثقافي العربي، بيروت ، ط1، 1994. ص 24.

[2] المرجع نفسه ، ص 12 13 .

[3] ينظر : ويزة غربي . التطابق الثلاثي في الميثاق السير ذاتي من الاعترافات إلى المخاتلة بحث في المرجعية ، جسور المعرفة ، الجزائر ، 31، 03، 2022 ، مج 8، ع1، ص 92.

المتلقي ، لأنه أحياناً حين يُلزم الكاتب بقول الحقيقة كاملة قد يعرض نفسه للخطر . و قد توصله تلك الصراحة إلى الطّابوهات ، مثلما حدث مع الأديب محمد شكري في روايته الخبز الحافي .

و أحيانا يتملص كاتب السيرة و يتوارى بسبب الخوف ، "و يذهب أغلبية الدارسين إلى استحالة الالتزام بالصدق في السيرة الذاتية ، فأسلوب المراوغة الميثاقية بمخاتلة الميثاق السّير ذاتي تفرضه خصوصية المجتمعات التي مازالت غير مستعدة لتحمل تبعات البوح عن الذات" [1]

و لعلنا نرى بأن شرط الصدق يدخلنا في متاهة الصدق الأخلاقي ، و الذي يُقيد الأديب و العمل الأدبي[*] .

و ينوه الناقد الفلسطيني إحسان عباس (ت 2003) إلى "أن الصّدق يُلزم الكاتب بأن يكبح جماح الخيال ، و أن يقف عند الحقائق ، و أن هذا الشرط يبعد السيرة عن دائرة الفنية " [2]. إذن هذا الشرط في نظر النّاقد إحسان عباس هو شرط ينفي الإبداع .

أما عند الناقد السعودي أحمد علي آل مريع فهو شرط ضروري ، إذ يرى بأن السّيرة: فعل لغوي نثري سردي استعادي ، يقوم به كاتب واقعي ... متوخياً الحق و الصّدق "[3].

---

[1] ويزة غربي ، التطابق الثلاثي في الميثاق السير ذاتي من الاعترافات إلى المخاتلة ، بحث في المرجعية ، ص 93

[*] يجوز لكاتب السيرة الذاتية باستعمال بعض الخيال و ذلك لكي يُبعد الملل عن المتلقي ، و إن كان الصدق على حساب الإبداع فإن ذلك يجعل من السيرة مجرد حكي ملل ، و سرد لأحداث واقعية لا مجال فيها للإبداع.

[2] ينظر: إحسان عباس ، فن السيرة الذاتية . دار صادر ، بيروت ، ط1، 1996. ص 70

[3] أحمد بن علي آل مريع، السيرة الذاتية مقربة الحد و المفهوم ، دراسة نقدية محكمة ، صامد للنشر و التوزيع ، الرياض ،ط 3، 2010 ، نقلا عن: ويزة غربي ، التحليل على الميثاق السير ذاتي في السيرة الذاتية النسائية، قسم اللغة العربية و آدابها ، جامعة البليدة ، 2018/12/2 ، ص 322 .

و بإمكاننا الوقوف موقف وسط بين الناقدَين ، فنرى بأن السّيرة الذّاتية لا تُبنى على الحقيقة المطلقة التي تجعل منها تاريخا ، و لا تبنى على التخييل المطلق الذي يجعل منها تاريخيا و لا تبنى على التخييل المطلق الذي يجعل منها رواية خيالية عجائبية بل تكون بين الحقيقة و الخيال .

و خلاصة الأمر أن السّيرة الذّاتية تقوم على مجموعة من الركائز تميزها عن بقية الأجناس المتقاربة لها ، و من هذه الركائز نجد الميثاق السِّير ذاتي ، و شرط الحقيقة و الصّراحة .

3- الفرق بين المصطلحات المتداخلة مع السيرة الذاتية:

إنَّ قضية الأجناس و تداخلها قضية قديمة اهتم بها النقاد ، و أحياناً يستعصي الأمر عليهم في التفريق بين الأجناس المتشابهة و المتداخلة في بعضها ، و لعل ذلك ينطبق إلى حدٍ بعيد على السِّيرة الذّاتية و التي " تُعد جنساً أدبياً له تقنياته الفنية الخاصة به ، لأنه يعتمد على الحقائق التي تصاغ في أسلوب أدبي يستعمل فيه الخيال بقسط محدود ، و بما لا يتعارض مع عرض هذه الحقائق في حياة صاحبها ، و من شأن هذا العمل أن يُحدث متعة جمالية... من هذا التصور ينبغي أن نستبعد من هذا الفن تلك الصور الفنية تأخذ طابعاً مختلفا عن السيرة " [1].

و من هذا المنطلق لا بدَّ أن نقف أمام تلك الأنواع الأدبية التي تتقارب مع السّيرة الذّاتية ، وتتداخل معها بحكم أن لها نفس الشروط و تقوم على نفس الخصائص ، هذا ما يجعل الأمر ملتبساً على الباحث فيجد نفسه أمام منعرج لا يفرق فيه بين ما ينتمي للسيرة الذاتية ، و ما ينتمي لغيرها وتجدر الإشارة إلى تلك الأنواع :

[1] شعبان عبد الحكيم محمد ، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، مؤسسة الوراق للنشر و التوزيع ، عمان الأردن ، ط 1 ، 2015 ، ص 18.

1. المذكرات: يعرفها صاحب المعجم الأدبي بأنها " سرد كتابي لأحداث جرت خلال حياة المؤلف ، و كان له فيها دور، و تختلف عن السيرة الذاتية بأنها تخص العصر و شؤونه بعناية كبرى، فتشير إلى جميع الأحداث التاريخية التي اشترك المؤلف فيها ، أو شهدها ، أو سمع عنها من معاصريه ، و أثرت في مجرى حياته .

ظهر فن المذكرات منذ القدم مُسجلاً لأحداث التاريخ البارزة ، أو معنياً بالشخصيات المعاصرة للكاتب [1].

استناداً إلى ما سبق نتوصل إلى أن المذكرات تعتمد اعتمادا كلياً على الأحداث الحقيقية، و التاريخ عكس السيرة التي تضيف إلى ذاكرة الأديب في تتبع الأحداث، و عليه تكون المذكرات أكثر صدقاً من السيرة الذاتية

ولكن الأخيرة أكثر فنية منها. " فالتي يكتبها أصحابها على شكل مذكرات يُعنى فيها بتصوير الأحداث التاريخية. أكثر من عنايتها بتصوير واقعه الذاتي ليست سيرة ذاتية [2].

و بناءً على ذلك نتوصل إلى أن السّيرة الذّاتية ليست مجرد كتابة تاريخية أو مجرَّد تصوير للواقع بل تتعدى ذلك إلى الغوص في ذات الأديب و تعرية واقعه.

[1] عبد النور جبور ، المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين، لبنان، ط8، 1984،ص 246.

[2] ينظر، شعبان عبد الحكيم ، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، ص 18.

2. الاعترافات: يتبادر إلى ذهن القارئ بمجرد استحضار هذا النوع ، إلى اعترافات القديس أوغسطين* و التي تعتبر قمة الاعترافات الدينية و قد حذا حذوها من كتب بعده [1]. و تعتبر هذه الاعترافات الأشهر ، والأقدم.

و الاعترافات في العصور الوسطى تُعنى عناية شديدة بتصوير تجربة الكشف الصوفي و هي تجربة تشبه تجربة الإلهام لدى الفنان ، حافلة بالصدق [2].

و عليه فالاعترافات ترتبط بالجانب الديني أكثر، فنجدها عند رهبان الكنيسة في الدين المسيحي، و عند المتصوفة في الدين الإسلامي ، "و في الأدب العربي نظائر و أشباه للاعترافات في كلام المتصوفة منها كتاب المنقذ من الضلال للغزالي و الطواسين للحلاج، و الغربة الغربية للسهروردي ... بعضها يصور تجربة الكشف الصوفي ، و البعض الآخر يفصح عن الطريق الوعر الذي خاضه أصحابها في لُجج الشّك و الحيرة."[3]

و مما سبق نتوصل إلى أن الاعترافات كانت تدور حول أحداث معينة من حياة صاحبها، و ترتبط بجوانب إيمانه و شكه، و خوفه، و لم تمس كل جوانب حياته. على عكس السيرة. و هي بالتالي جزء من السيرة. إن صح التعبير. و ليست مرادفاً لها . فهي تمس الجانب العقائدي و الديني لذا ارتبطت برجال الدّين، و لم ترتبط مع غيرهم.

---

* - أوريليوس أوغيسطينوس المشهور بالقديس أوغيسطينوس (354430) أحد أهم الشخصيات المؤثرة في المسيحية الغربية ، ولد في تغاست(أي سوق أهراس حاليا) عام 354 من أهم مؤلفاته اعترافات ، التي تعتبر أول سيرة ذاتية كتبت في العالم ، توفي سنة 430 في هيبو(عنابة حاليا) ، ينظر دانيال مندليسون و آخرون . نهاية الرواية و بداية السيرة الذاتية ، تر: حمد العيسى، ص 145.

[1] يحي ابراهيم عبد الدايم ، الترجمة الذاتية في الأدب العربي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت لبنان، ص 13.

[2] المرجع نفسه ، ص 13.

[3] المرجع نفسه، ص 13.

3. اليوميات: وهي تكتب بشكل متقطع أي كل يوم تقريباً و بشكل متسلسل " تجيء فيها الأحداث على نحو متقطع و رتيب" [1]، و تتشابه مع السيرة في ذكر ما يتعلق بحياة فرد ما فالتشابه قائم هنا فقط في ذكر حياة الفرد، و الاختلاف قائم على أوجه أخرى، " إذ تختلف اليوميات عن السيرة في عدم تتبع نمط فني ."[2]

و" بدأ الاهتمام بكتابتها في أوائل القرن السابع عشر ، و كان أصحابها يحرصون على عدم نشرها ، و إلى السير وليم دوجيل dogell يعزى ظهور اليومية الحقّة في الأدب الإنجليزي ، و قد سجل فيها خمسة و أربعين عاما من حياته التي انتهت في سن الثانية و الثمانين ، و لم تنشر يومياته إلا بعد وفاته "[3]، و هي أقل فنية و جمالية من السيرة الذاتية.

4- أسباب و حوافز كتابة السيرة الذاتية: إن الإنسان لم يخلق كذات منفردة بل هو كائن يعيش مع الغير، يَقرأ و يُقرأ له، يَكتب و يُكتب له، هذا الرابط الذي يشكله مع غيره يجعله في دائرة السماع و القراءة.

[1] شعبان عبد الحكيم، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص: 18.

[2] عبد المجيد البغدادي فن السيرة الذاتية و أنواعها في الأدب العربي، مجلة القسم العربي، جامعة بينجاب لاهور، باكستان، ع23، 2016 ، ص 200 .

[3] يحي إبراهيم عبد الدايم ، الترجمة الذاتية ، ص 15 .

" إن كاتب السيرة الذاتية لا يكتب سيرته لنفسه ، و لكن يكتبها ليقرأها الآخرون ، فالإنسان بطبيعته ميّال إلى التحدث مع الآخرين ، و تبادل الأفكار و العواطف معهم ... فهو يتكلم ويكتب و يسجل حياته لمن حوله لأنه لا يعيش بمفرده..."[1].

و بالتالي يكتب سيرته ليتشارك حياته مع القارئ ، و هناك دوافع أخرى لكتابة السيرة الذاتية ، ذكرها الناقد يحي ابراهيم عبد الدايم ، حيث قسم التراجم الذاتية حسب حوافزها و أسباب كتابها نذكر منها ما ذكره:

1. التبريرية: و هي كُتبت للدفاع أو الاعتذار و من أمثلتها ترجمة حنين ابن اسحاق.

2. التخفف من ثورة أو انفعال: و هي أفصح عن ثورة نفسية على بيئته و مجتمعه، و صور صراعه الصادر " أبو حيّان في مثالب الوزيرين".

3. الرغبة في استرجاع الذكريات: و مثل ذلك ما نجده في طوق الحمامة في الألفة و الآلاف لابن حزم ، الذي يجري فيه مجرى الاعتراف حين يبوح بذكريات شبابه العاطفية .[2]

و من هنا يتجلى لنا أن دوافع كتابة السيرة تتمحور حول دوافع عقلانية كالتبريرية ، و دوافع عاطفية تتمثل في استرجاع الذكريات و الإنفعال و غيرها .. " و في الدوافع العقلية يلجأ الكاتب

[1] ينظر: عبد القوي أحمد، السيرة و التخييل في رواية أنثى السراب لواسيني الأعرج ، رسالة ماجستير في الأدب العربي ، قسم اللغة العربية و آدابها ، جامعة السانيا، وهران، 2012.2011 ، ص 28 .

[2] ينظر: يحي إبراهيم عبد الدايم ، التجربة الذاتية في الأدب العربي ، ص 35.

إلى الاعتراف بمزاياه التي تفضّل بها عن غيره ، أما الدوافع العاطفية ففيها إقرار بالذنب و الشعور بالنقيصة أو تنويه بجميل غيره من الذين عاصروه [1].

و خلاصة القول أن السيرة الذاتية لها شروط تقوم عليها، و لها أسباب تدفع لكتابتها ، وبالتالي فهي جنس أدبي يستوفي كل المعايير التي تجعله جنساً متميزاً عن غيره من الأجناس الأدبية الأخرى.

[1] ينظر: ناصر بركة ، أدبية السيرة الذاتية في العصر الحديث ، رسالة دكتوراه ، قسم اللغة العربية آدابها ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، 2012.2013 ، ص 38.

الفصل الأول

دراسة نظرية في فن السِّيرة الذَّاتية

المبحث الأول 1. حدّ مصطلح السيرة الذاتية

1. 1 : إضاءات لغوية للسيرة الذاتية

1. 2 : ماهية السيرة اصطلاحا

3.1. نشأة السيرة الذاتية و تطورها

1. . عند الغرب

2. . عند العرب

أ: قديما

ب: حديثا

المبحث الثاني: . انزياح السيرة الذاتية إلى جنس الرواية

المبحث الثالث: . تاريخ السيرة الذاتية في فلسطين .

1.3. أثر الواقع الفلسطيني في الأدب السِّيري .

3. . تجليات الواقع الفلسطيني في بعض النماذج السير ذاتية.

1 –المبحث الأول: حدّ مصطلح السيرة الذاتية :

لاقت السيرة الذاتية اهتماما بالغا في النقد الحديث، و قد تطورت مع الزمن و منه كان لا بد من وضع حد لها .

1.1: إضاءات لغوية للسيرة الذاتية :

ذُكرت السِّيرة في كثير من المعاجم القديمة و على رأسها معجم لسان العرب لابن منظور(ت 711)، فقال: " السَّيْر: الذهاب، سار يسير سيرا و تِّسياراً ، و مسيرةً و سيرورةً الأخيرة عن اللحياني ... و السّيرة : الضرب من السير . و السُّيَرَةُ الكثير السير (و هذه عن ابن جني). و السِّيرة : السنة و الطريقة ... و سيَّر سيرة : حدّث أحاديث الأوائل[1]

كما ذكرها الفيروز آبا دي (ت 817)، فقال :" السُيرة الضرب من السير ... و السيرة بالكسر : السنة و الطريقة و الهيئة و الميرة ... و سيرة جاء بأحاديث الأوائل [2]

و تماشيا مع ما تم ذكره نلاحظ أن السيرة تدور حول السنة والطريقة عند كل من المعجميين جمال الذين ابن منظور و مجد الدين الفيروز آبادي . أما في المعاجم الحديثة ، فقد وردت في المعجم الوجيز بأن: السيرة : السنة و الطريقة و ترجمة الشخص و السيرة النبوية و كتب السير مأخوذة من السير بمعنى الطريقة. وأدخل فيها الغزوات و غير ذلك و الجمع سير.[3]

---

[1] ابن منظور :لسان العرب ج4 مادة (سير) دار صادر بيروت لبنان ط3 1994 ص:390 .

[2] الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، تح: أنس محمد الشامي و زكرياء جابر أحمد ، مادة (سير) دار الحديث ، القاهرة ، 2008، ص 827-828.

[3] المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية ، مادة (س ي ر) ، مصر ، 1989، ص 331.

و عُرفت السيرة الذاتية في المعاجم الغربية القديمة " فقد برزت إلى حيز الوجود في معجم أوكسفورد الإنجليزي ، الذي يرجع تاريخه إلى عام 1809 ، في مقال لروبرت ساوثي Robert southey الذي يقول: إنّه لفريد أنّ هذا النموذج المثير الذي لا نظير له من السّيرة الذاتية "[1]

و ذُكرت أيضا في معجم لاروس بأن " لفظة سيرة ذاتية أُخذت من انجلترا في بداية القرن التاسع عشر و أنها حسب معجم لاروس للغة الفرنسية ظهرت سنة 1866 و تعني حياة فرد ما مكتوبة من طرفه[2].

2.1. ماهية السّيرة الذّاتية اصطلاحا:

إنَّ السِّيرة الذاتية جنس اتخذه الإنسان ليعبر عن مكنوناته ، و بالتالي فهي "تعد السيرة من أبرز أشكال التعبير عن الذات "[3] .

و منه لا بد من عرض بعض التعريفات التي تناولت مفهوم السيرة الذاتية و يرى بعض النقاد أن التعريف الشامل للسيرة الذاتية غير مستقر "مرجع ذلك طبيعة هذا النوع الأدبي الذي ينفر من التجنيس، و فيها يعرض المؤلف (صاحب السيرة) لحياته الواقعية في أسلوب أدبي أو علمي متأدب، و في أشكال فنية متعددة ، قد يتخذ الشكل الروائي أو الشكل المقالي ، أو الاعترافات ، أوالمذكرات إلخ... "[4].

[1] عبد العزيز شرف ، أدب السيرة الذاتية ، مؤسسة الأهرام للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 1992 ،ص42.

[2] ينظر: فيليب لوجون، السيرة الذاتية الميثاق و التاريخ الأدبي تر: عمر حلي ص 10.

[3] سامية بابا، السيرة الذاتية و تداخلها مع الأجناس الأدبية الأخرى ، دراسة في التأصيل و التشكيل ، مجلة لغة .كلام ، غيليزان، الجزائر ، 2023/01/10 ، المجلد 9، ع1، جانفي 2023، ص 134.

[4] شعبان عبد الحكيم محمد، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص 13.

و منه فإن السِّيرة الذَّاتية ليست مصطلحاً قاراً و ثابتاً ، هي متشبعة تحوم حول كل الأجناس ، وتتخذ أشكالا مختلفة ، و هذا ما يصعب على النقاد وضع حدّ جامع لها ، و هذا لا ينفي عدم وجود تعريفات نذكر منها : تعريف الناقد اللبناني لطيف زيتوني :

السّيرة الذّاتية Autobiographie : هي نص سردي يتميز عن الرواية المروية بضمير المتكلم بأنه لا يقدم متخيلاً وهمياً ، بل يعرض الأحداث الحقيقية التي وقعت للراوي/ الكاتب، و لا شك في أن الصورة التي تقدمها السيرة الذاتية قد تختلف عن حياة الراوي في الواقع ، إما بسبب عجز الذاكرة عن إعادة تكوين الحدث الماضي، و إما بسبب الرغبة في تجميل الحقيقة أو تعتيمها.[1]

و يبقى الأصل في السِّيرة الذَّاتية أن يكون الراوي / الكاتب هو محور السِّيرة نفسها ، و أن تكون الأحداث في غالبيتها قد وقعت له أو عايشها.

"و تظهر الذات الفردية في السيرة بوصفها المرجعية الأساسية لمادة النص فكل العناصر الفردية والمكونات السردية تتصل بتلك الذات ، و مع أن درجات الاتصال تتباين بين نص و آخر فإنه لا يمكن الحديث عن انفصال كامل." [2]، أما دانيال مندليسون Daniel mendelsohn فيعرف

[1] لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، بيروت لبنان، ط 1، 2002، ص 111.

[2] ينظر : عبد الله ابراهيم ، موسوعة السرد العربي ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت لبنان ، ط 2 ، 2008 ،ص 443.

السيرة الذاتية بأنها ،"نوع أو شكل أدبي يكشف حياة المؤلف الحقيقية من دون الأقنعة الواقعية لاستعمال فكرة الخيال (Fiction) كما في القصة و الرواية.[1]

و لعل ما أُخذ على السيرة هو الكشف و تعري الذات و الفضح ، فيذكر الدكتور دانيال قصة ناقد كتب في مجلة نيويورك ريفيو أوف بوكس قائلا:" إنه عصر الاعترافات الذي أصبحت فيه كتب السيرة الذاتية ، و التعريات الشخصية تتشقلب كبهلونات في وفرة غير مسبوقة و غير مرغوبة."[2]

و يؤكد أن رفض هذا النوع في البداية عائد إلى" أنها كتب خادعة و مليئة بالرغبة في الانتقام ، كما أنها محاولات لتبرير الأخطاء ، أو لمحاولة طلب الصفح و المغفرة ."[3]

أما الحد الذي وضعه الناقد فيليب لوجون Philippe Lejeune (2008) كان متكاملا حيث قال : "هي حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص ، و ذلك عندما يركز على حياته الفردية ، و على تاريخ شخصيته بصفة خاصة يعرض هذا الحد عناصر تنتمي إلى أربعة أصناف مختلفة:

1. شكل اللغة : أ: حكي. ب: نثري.
2. الموضوع المطروق: حياة فردية ، و تاريخ شخصية معينة .
3. وضعية المؤلف: تطابق المؤلف و السارد.
4. وضعية السارد : أ: تطابق السارد و الشخصية الرئيسية،

[1] دانيال مندليسون و آخرون ، قضايا أدبية نهاية الرواية و بداية السيرة الذاتية ، تر: حمد العيسى ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ط1، بيروت، لبنان، 2011، ص 142.

[2] المرجع نفسه ، ص 143.

[3] ينظر : المرجع نفسه ، ص 143.

ب: منظور استعادي للحكي." [1]

و هنا يعطينا الناقد أهم القواعد التي تجعل من السيرة سيرة ذاتية ." بعد مرور احدى عشر سنة من وضعه لهذا الحد ، و الذي أطر به هذا الجنس تجده يتراجع عنه معلناً عن حد آخر للسيرة الذاتية في كتابه أنا أيضا (moi aussi) و الذي صدر سنة 1986." [2]

فاستغنى عن شرط من شروط التعريف الأول ألا و هو النثر ، حيث أدخل بقية الأجناس الأدبية ، و كان التعريف كالآتي : " السيرة الذاتية هي أثر أدبي ، رواية، شعر ، مقالة، دراسة فلسفية... الخ ، يسعى من خلاله المؤلف بقصد مضمر أو صريح إلى حكاية حياته ، و عرض أفكاره و تشخيص إحساساته." [3]

طرأ هذا التعبير لأن التعريف الأول " وجهت له انتقادات كثيرة تتصل بصرامة منهجه في تأسيس مفهوم السيرة الذاتية إذ أن هذه الغاية يصعب منالها في هذه المرحلة المبكرة من تاريخ السيرة الذاتية "[4]

كما نجد نقد جورج ماي George May (1961) لتعريف فيليب لوجون و أسماه التعريف الدغماتي ، و هو تعريف فيه شيئ من التصلب المفرط و التجمد المفرط.[5]

---

[1] فيليب لوجون ، السيرة الذاتية الميثاق و التاريخ الأدبي ، تر: عمر حكي، المركز الثقافي العربي ، ط1، بيروت 1994، ص 22. 23.

[2] سامية بابا، السيرة الذاتية و تداخلها مع الأجناس الأدبية الأخرى ، دراسة في التأصيل و التشكيل ، مجلة لغة كلام ، ص 135.

[3] المرجع نفسه نقلاً عن Philippe Lejeune- moi aussi – ed seuil ; paris 1986، p : 11

[4] محمد القاضي، معجم السرديات، ص 261.

[5] ينظر: محمد الباردي ، عندما تتكلم الذات، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، منشورات اتحتد الكتاب العرب ، دمشق سوريا، ص 175.

إذ أنه نفى السيرة عن كل جنس لا ينتمي للنثر ،" و إن السّيرة الذَّاتية لا تكتب بأسلوب واحد ، و إنما تكتب بأساليب مختلفة ... و لذلك لا يمكن أن يخلو تعريف السيرة الذاتية من الإشارة إلى الأشكال المختلفة التي تكتب بها."[1]

أما الناقد السعودي صالح معيض الغامدي ، فيرى بأن السيرة الذاتية جنس أدبي مراوغ و يعرفها قائلاً :" هي تسجيل استعادي صادق و مقصود لعمر من الخبرات و الأفعال ، و التفاعلات وتأثيراتها الفورية و البعيدة المدى على الشخص." [2]

مما لا شك فيه بأن الناقد يؤنث لأن تكون السيرة مرتبطة بماضي المبدع و أن تكون التجربة صادقة ، و أن يشترط في السيرة القصد من كتابتها ." و السيرة الذاتية هي قصة حياة إنسان يرويها بنفسه ، و لكن ذلك لا يعني أن كل حديث يَسرُده الإنسان عن نفسه هو سيرة ذاتية." [3]

فالحديث عن النفس يشمل المذكرات و الرسائل و الاعترافات ، أما السيرة الذاتية الحقيقية فهي تلك التي" تكمن في قدرة الكاتب على ربط الأحداث الذاتية مع واقعه أما إذا اقتصر الكاتب على تدوين مذكراته، أو يومياته ، أو وجه سيرته لتصوير أحداث أكثر من تصوير (ذات) فإن عمله يلتقي مفهوم السيرة الذاتية و ليس هو."[4]

---

[1] محمد الباردي ، عندما تتكلم الذات، ص 178.

[2] صالح معيص الغامدي، كتابة الذات، دراسات في السيرة الذاتية ، المركز الثقافي العربي ، ط1، بيروت لبنان ، 2013، ص 19.

[3] تهاني عبد الفتاح شاكر ، السيرة الذاتية في الأدب العربي ، فدوى طوقان و جبرا و احسان عباس نموذجا ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، ط1، 2002، ص11.

[4] احسان عباس، فن السيرة ، ص 99.

أي أنَّ السّيرة الذَّاتية تتحول لسيرة واقعه و مجتمعه ، و وصفا لأحداث الزمن الذي عاش فيه ، وتختفي حياته تدريجياً منها، فتصبح السيرة سيرة كل شيئ إلا ذاته.

و يمكن أن نطرح التساؤل الآتي: . من يتعين عليه كتابة سيرته الذاتية؟

إنَّ من يكتبها لا بد أن يكون بالدرجة الأولى أديباً ، و هنا نتحدث عن السِّيرة الذَّاتية الأدبية ، و يمكن أن نستدعي ما ذكره الناقد الفلسطيني إحسان عباس (ت 2003) " إنَّ كل سيرة إنَّما هي تجربة ذاتية لفرد من الأفراد ، فإذا بلغت هذه التجربة دور النضج ، و أصبحت في نفس صاحبها نوعا من القلق الفني ، فإنه لا بد أن يكتبها ." [1]

و هنا يشترط الناقد إحسان عباس شرطان ألا و هما : حضور التجربة و نضج الأديب الذي يفجر هذه التجربة و يجعلها سيرة .

" و أن يكون صاحبها ذا صلة دقيقة بأحداث كبرى ، أو أن يكون ممن لهم مشاركة في بعض تلك الأحداث ... أو أن يكون ذا نظرة خاصة إلى الحياة و حقائق الكون، أو أن يكون ذا غاية كبيرة أو صاحب أخطاء جسمية ."[2]

فإنه كل ما كان ذا صلة مباشرة بالأحداث الكبرى كلما انتشرت سيرته أكثر من أجل معرفة مجريات تلك الحقب . فنقرأ السِّير التي كُتبت في الحروب العالمية لمعرفة التَّاريخ ، و نقرأ السِّير التي كتبت في سنوات النَّكبات لنعرف كيف عاش الإنسان ، و نقرأ سير أصحاب الأخطاء لندرك

[1] احسان عباس ، فن السيرة الذاتية ، ص 94،95.

[2] المرجع نفسه، ص 96.

الصَّواب ، و قد نقرأ السيرة لأن" كاتب السيرة الذاتية قريب إلى قلوبنا لأنه إنَّما كتب تلك السِّيرة من أجل أن توجد رابطة ما بيننا و بينه ."[1]

أي لأن الرَّابطة بين الكاتب و القارئ تغدو من كونها مجرد رسالة تربط بين المبدع و المتلقي إلى رسالة إنسانية لمعرفة ذلك المبدع أكثر .

هؤلاء بعض النقاد و الباحثين الذين خاضوا تجربة البحث عن إيجاد حدّ شامل و كامل للسيرة الذاتية ،" و إن كان النَّقد الحديث لم يحسم نهائيا في مسألة تعريف هذا الجنس الأدبي تعريفاً علمياً دقيقاً ."[2]

إلا أنه يمكن الاتفاق على أن تكون السيرة الذاتية هي أن يكتب الشَّخص عن ذاته بصدق في التجربة و بقصد و غاية .

3.1. نشأة السيرة الذاتية و تطورها:

. السيرة الذاتية عند الغرب:

عرف الأدب الغربي السيرة الذاتية في بدايات ظهورها الأولى و" لئن عدت اعترافات جان جاك روسو J J Rousseau (1778.1712) المنشورة بعد وفاته بداية لهذا التاريخ ، فإن هذا التحديد يثير عدة قضايا ."[3]و هذا ما أشار إليه الناقد التونسي شكري المبخوت إذ يقول :" بأن الثقافة الغربية قد عرفت الثقافة الغربية كتابا بالعنوان نفسه وضعه القديس أوغسطين Saint Augustin (354م

[1] إحسان عباس ، فن السيرة الذاتية ، ص 93. 94.

[2] محمد الباردي، عندما تتكلم الذات، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، ص 175.

[3] شكري المبخوت ، سيرة الغائب سيرة الآتي ، ص 18.

.430) ، قبل عشر قرنا من اعترافات روسو بيد أن كلمة سير ذاتية انتشرت قبيل سنة 1800 في أهم اللغات الأوروبية." [1] و منه فإن السيرة عند الغرب تبدأ باعترافات القديس أوغسطين

و قد استشهد الناقد شكري المبخوت بملاحظة جورج ماي الذي قال." أن جنس السيرة الذاتية شهد في نهاية القرن 18 و بداية القرن 19 وفرة من الأعمال المقتفية لخطى روسو ، و مرد ذلك إلى ما لقيته اعترافاته من نجاح و حظوة "[2].

بعد ذلك ذكر لنا " أن من القضايا الداعية إلى التأمل اختيار كتاب غربي لتحديد نشأة جنس أدبي مما يعنى أن السيرة الذاتية وليدة الثقافة الغربية و بأن منشأ السيرة الذاتية هو الأدب الغربي ، و هذا ما أقره المؤرخون بأنها شكل من أشكال التعبير خاص بالثقافة الغربية ، و أكدوا لنا، "أن كل من يكتب سيرة ذاتية من غير الغربيين إنما هو مقلِّد لهم متأثر بثقافتهم و هو أمر يمكن قبوله دون تعصب قومي ، إذا فهمنا السيرة الذاتية بمعناها الفني الحديث." [3]

و لعل النقاد يرون بأن اعترافات روسو النموذج المثالي لفن السيرة الذاتية فإننا لا نبخس هذا الجنس حقه ، فقبلها " قد اتخذت السيرة الذاتية في العصور الوسطى عند الغرب صوراً عدة كالمذكرات، و اليوميات و الذِّكريات، و الاعترافات نذكر منها : مذكرات جيمس ميلفل

[1] ينظر : شكري المبخوت ، سيرة الغائب سيرة الآتي ص 19

[2] شكري المبخوت ، سيرة الغائب سيرة الآتي ، ص 19.

[3] ينظر: المرجع نفسه ، ص 19.

Jums(1617) ، و مذكرات روبرت كاري Robert (1626) ... و مذكرات هيوم ، و مذكرات داروين." [1]

أما في العصور الوسطى في أوروبا ،" فقد كانت السيرة تشكو إهمال جوانب الضعف و النقص و كان من الصعب أن يتصور الناس السيرة شيئاً غير تعداد الحسنات ، و تعداد السيئات ."[2]

كما يذكر الناقد المصري عبد العزيز شرف ، مدى تأثير العصور المظلمة على هذا الجنس فيقول،" فقد ظلت إنجليترا على رسوخ قدمها في فن التراجم معطلة في هذا الباب عدة قرون ، إلى أن ظهر ساموبل بيتس فكتب يومياته و مذكراته ، و ظلت فرنسا كذلك ، إلى أن ظهر في القرن السابع عشر المؤرخ ريتز ، فكتب مذكراته سنة 1672 ، و هذه بدايات ساذجة لهذا الفن."[3]

مما سبق نستنتج أن السيرة الذاتية الغربية ، و على الرغم من بداياتها الغير موفقة تبقى هي المصدر لبدايات هذا الجنس الأدبي .

[1] شعبان عبد الحكيم ، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص 36، نقلا عن See، English autobiography ، P : 63-64

[2] إحسان عباس ، فن السيرة ، ص 36.

[3] ينظر: عبد العزيز شرف، أدب السيرة الذاتية ، ص 47.

. السيرة الذاتية عند العرب:

لقد تعثرت كتابة السِّيرة في أوروبا ، خصوصاً في عصور الظلام ." على حين كان هذا الفن يتقدم في الأدب العربي ، و أخذت السيرة تظهر منذ القرن الثاني للهجرة ، ثم أخذت أنواعها تكثر على توالي العصور ." [1]

فالعرب قد عرفوا هذا الفن قديما فلم يكن جنساً جديداً عليهم ، و إن اختلفت تسمية المصطلح " و قد كانت التراجم العربية الإسلامية قد بلغت حداً من الكثرة و التنوع ، و سعة المجال و الافتنان في موضوعات التراجم ، لا يقاس به بداية غير منتظمة الخطى في الآداب الأوربية ."[2]

و منه كان لا بد أن نتطرق إلى جنس السِّيرة الذَّاتية قديماً لكي تتضح الصورة أكثر.

أ . فنّ السِّيرة الذَّاتية عند العرب قديماً:

إنَّ تتبع هذا الجنس في العصور القديمة ، لا يحيلنا إلى المصطلح الحديث أي إلى السيرة الذاتية ، بل نجد أن هذا المصطلح قد تطور ،" فلفظة ترجمة و سيرة كانت تدوران على معنى (تاريخ الحياة) ، و قد اتخذ التأريخ للفرد صوراً مختلفة لدى العرب ، و كانت السيرة أولى هذه الصور ، و قُصد بها حياة الرسول الكريم و مغازيه."[3]و هذا يشير إلى أن العرب ، قد عرفوا هذا الفن و كتبوا فيه ، و إن لم يصلوا لدرجة الأدبية فيه ، بل حفاظاً على إيصال تاريخ ذلك الزمن .

[1] عبد العزيز شرف ، أد السيرة الذاتية ، ص 47.

[2] محمد عبد الغني حسن ، التراجم و السير ، ص 11.

[3] يحي إبراهيم عيد الدايم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص 30.

" و قد وجدت سير أخرى مثل سيرة معاوية ، و سيرة بني أُمية لعوانة الكلبي (ت 147هـ) ، و سيرة ابن إسحاق (ت 151هـ) ، ثم تعددت أنواع التأريخ للأفراد فكان الجرح و التعديل [*] ، و الطبقات ثم التراجم في العصور المتأخرة ."[1]

و هذه تراجم تدخل تارة في السِّيرة الغيرية ، و تارة في السيرة الذاتية "و قد أنتج العرب نصوصاً سير ذاتية قبل أن يَتوَطَّد المصطلح حديثاً و لما نستعرض عناوينها نجدها كثيرة ، تشكل ظاهرة أدبية تستحق أن تعالج لضم طبيعتها و خصوصيتها ، فعينة منها جاءت متفرقة في أهم المصادر العربية (على نحو ما ورد متفرقا في مؤلفات مسكوبة ، و كتاب عيون الأنباء في طبقات أطباء لابن أبي أصيبعة ، ورد فيه عتبات لسير ابن الهيثم و ابن سينا و غيرهم ، و كذا سيرة سلمان الفارسي المسنودة لابن عباس) . و عينة أخرى وُردت في شكل كتب مستقلة."[2]

و من هذه الكتب المستقلة نجد،" المنقذ من الظلال و الموصل إلى العزة و الجلال لأبي حامد الغزالي ، و كذا التعريف بابن خلدون و رحلة غرباً و شرقاً لابن خلدون (ت 808) ، و كتاب ثمرة أُنسي في التعريف بنفسي لأبي ربيع الحوّات و غيرهم ." [3]

هذا الزخم الكبير في الكتابة عن الذات أدّى إلى تطوره ،" ففي القرن الثاني عشر ميلادي كان كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ (488/584هـ)، يعد نموذجا عالياً للمذكرات و التراجم الذاتية ...

[*] كتاب الجرح و التعديل لصاحبه ابن أبي حاتم و هو كتاب تراجم للرواة و هو أشبه ما يكون بطبقات فحول الشعراء بيد أنه للرواة لا للشعراء.

[1] ينظر: يحي إبراهيم عبد الدايم ، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص 30.

[2] ينظر: محمد الداهي ، الحقيقة الملتبسة، قراءة في أشكال الكتابة عن الذات، ص 19.

[3] المرجع نفسه، ص 52.

" و في القرن نفسه كان الشاعر عمارة اليمنى [*] يؤلف كتاب "النكت العصرية" و يترجم فيه لنفسه و قد ظهرت قبلها في العصر العباسي ، و المملوكي و العثماني ، إذ ظهرت تراجم الطبقات ، و القرون و البلدان ، و أعلامها و غيرهم الكثير."[1]

هذه الأمثلة من السِّيرة الذَّاتية كانت متفرقة في كتب التاريخ ، سواء أكتبها الأدباء عن أنفسهم ، أو كُتب عنهم ، و لعل هذه البدايات كانت الثمرة الأولى لتَنضُج بعدها في العصر الحديث .

ب . فنّ السِّيرة الذَّاتية عند العرب حديثاً:

مع معرفة العرب للسيرة الذاتية قديماً ، و مع اطلاعهم على الثقافة الغربية فإنهم كتبوا في هذا الجنس بدرايتهم المسبقة له ، و لكن " عاشت أصول السِّيرة الذَّاتية في الأدب العربي نوعاً من الخمول و التوقف عن النمو في نهاية القرن الرابع عشر ميلادي ، إلا أنه في نهاية القرن التاسع عشر بعد أن اتّصل العالم العربي بركب الحضارة العربية ، ظهرت إرهاصات هذا الفن في الأدب العربي الحديث ."[2]

و منه نتوصل إلى أن تطور السيرة الذاتية عند العرب كان مرتبطاً بالدرجة الأولى بالغرب ، أي أن بينهما علاقة تأثير و تأثر ، و من الإرهاصات نجد ،" كتاب الساق على الساق في ما هو الفارياق لأحمد فارس الشدياق [*] ، الذي يرى إحسان عباس أنه أول سيرة ذاتية ظهرت في العصر الحديث ،

---

[*] كاتب و شاعر يمني (515 .569) من مؤلفاته أرض اليمن و تاريخها

[1] ينظر: محمد عبد الغني حسن ، التراجم و السير ، ص 12.11.

[2] ينظر: تهاني عبد الفتاح شاكر ، السيرة الذاتية في الأدب العربي ، ص 67.

[*] أحمد فارس الشدياق (1804 . 1887) كاتب و شاعر و رحالة

لكنه انتقدها لكون الشدياق انقاد في لغته إلى لغة المقامة و أسرف في التورية ، و التلميحات الجنسية." [1]

و لأن كلا من الشدياق (ت 1887) ورفاعة رافع الطهطاوي (ت 1873) [**] من نفس العصر ، فإن كتابتهم عن ذواتهم كانت نوعاً ما متقاربة ، بيد أن "رفاعة رافع الطهطاوي في سيرته تخليص الإبريز ، يتناول الأمر بجدية شديدة ، و عقلية متفتحة للنظر في كل ما هو جديد ، و الحكم عليه وفق ما يشيرعقله." [2]

و على الرغم من ذلك " يتفق الشدياق مع رفاعة الطهطاوي من حيث تصوير كل منهم للحياتين الشرقية و الغربية ."[3]

لعل هذه البدايات التي مهدت لفن السيرة الذاتية حديثاً ، إلا أنها كانت تحتاج إلى النضج أكثر ، أما إذ أردنا البحث عن السيرة الذاتية الكاملة فإن " السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، لا يمكن فصلها عن جيل طه حسين ، فمع أبناء هذا الجيل بدأ الوعي الفني بخصائصها ، و هو وعي مأتاه إلمامهم بالآداب الغربية ."[4]

أي أن جيل الأديب و الناقد المصري طه حسين (ت 1973) قد تأثر بالغرب ، و حاول الكتابة على منوالهم ، "و يجمع النقاد بأن كتاب الأيام لطه حسين سنة 1959 باكورة السيرة الذاتية

[1] ينظر: إحسان عباس ، فن السيرة الذاتية ، ص 131.130.

[**] رفاعة رافع الطهطاوي (1216 .1290) من أهم أعماله مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية

[2] ينظر يحي إبراهيم عبد الدايم ، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، ص71.

[3] المرجع نفسه، ص 71.

[4] شكري المبخوت، سيرة الغائب سيرة الآتي ، ص 31.

في الأدب العربي الحديث " [1]، و تطورت السيرة الذاتية عند العرب في العصر الحديث مع " بداية القرن العشرين ازدهر هذا الفن و تعددت صوره الأدبية كاليوميات و المذكرات، و الذكريات ، و الاعترافات ... و نذكر من اليوميات : يوميات مصطفى عبد الرازق ، و يوميات نائب في الأرياف لتوفيق الحكيم و من المذكرات مذكرات الشَّابي ... و من أشهر الأعمال التي توافر فيها المقومات الفنية لهذا الفن الأدبي ، الأيام لطه حسين ، و أنا للعقاد و أوراق العمر للويس عوض ... و الخبز الحافي و الشطار لمحمد شكري ."[2]

كانت هذه أبرز الأمثلة عن جنس السيرة الذاتية ، و يمكن أن نذكر كذلك ما أورده الباحث " محمد شهري" كالآتي[3]:

المؤلف	عنوان النص السير ذاتي	تاريخ التأليف
طه حسين	الأيام ج3	1967 .1939 .1929
أحمد أمين	حياتي	1950
توفيق الحكيم	عصفور من الشرق . سجن العمر	1964

[1] طيبي بوعزة، و علي كبريت، تجليات السيرة الذاتية في الرواية العربية الحديثة، رواية المرايا لنجيب محفوظ أنموذجا، مجلة البدر، جامعة بشار، 2017.7.7، مج 9، ع7، ، ص 184.

[2] ينظر: شعبان عبد الحكيم محمد ، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص 34.

[3] ينظر: محمد شهري، الخطاب السير ذاتي في الرواية الجزائرية المعاصرة، قراءة في تجارب هوامش الرحلة الأخيرة لمحمد مفلاح و مزاج مراهقة لفضيلة فاروق و مقامات الذاكرة المنسية لحبيب مونسي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، قسم الدراسات الأدبية و اللغوية ، جامعة مستغانم، 2018.2017، ص 38، 39، 40.

زهور ونيسي	من يوميات مدرسة حرة	1967
إحسان عباس	غربة الرّاعي	1996
مريد البرغوثي	رأيت رام الله	1997
حنا مينة	بقايا صور . المستنقع . القطاف	1975 . 1977 . 1986

و هذه بعض أهم الأعمال الأدبية التي تدخل ضمن إطار السيرة الذاتية، و لعل بعضها يقترب من الرواية ، باعتبار أن هناك تداخلاً بين جنس الرواية ، و جنس السيرة الذاتية ، و هذا ما نتطرق إليه لاحقاً .

. المبحث الثاني: تعالق السِّيرة الذَّاتية مع جنس الرِّواية:

إنَّ الناظر إلى السَّاحة الأدبية، يلتمس بأن هناك تداخلاً ملحوظاً ما بين السِّيرة و الرِّواية ، إذ إنَّ السيرة تقترب من جنس الرواية و تحاول أن تتمازج معها مشكلة جنساً جديداً هجيناً ،" و لا يقصد بالتهجين معنى سلبياً إنما يقصد به التركيب الذي يستعير عناصره من أنواع لها شرعية معروفة في تاريخ الأدب ، و إعادة صوغها على وفق قواعد تناسب الكتابة الجديدة ." [1]

[1] عبد الله إبراهيم ، السرد و الاعتراف و الهوية ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت، ط1، 2011، ص 173.

و لأن السيرة قد انتشرت في الآونة الأخيرة بشكل ملحوظ ، و تخطت حاجز نظرية الأجناس الأدبية ، ما بين انفصالها و تعالقها ، و لكن الإشكالية تبقى بين هاذين الجنسين ،" باعتبار الرواية ملفوظاً تخييلياً و السِّيرة الذَّاتية ملفوظاً واقعياً ".[1]

أي أن الرواية تعتمد اعتمادا كلياً على الخيال ، عكس السيرة الذاتية التي تجعل من حياة صاحبها الحقيقي حيزاً لوجودها ،" فتربط معظم النظريات جنس الرواية بمفهوم التخييل و بالمقابل تربط السيرة الذاتية بالواقع ، تتبنى السِّيرة الذَّاتية على تصريح الكاتب ، بأنه يحكي حياته و يعرض مسار أفكاره ، و مشاعره... بالمقابل تنبني الرواية على ميثاق تخييلي يصرح فيه الروائي ، بأن ما يحكيه هو من صنع التخيل، و أي تشابه بين الأحداث و الواقع ، هو محض صدفة."[2]

فنجد في معظم الروايات ملاحظة يكتبها الروائي تتمحور حول أن كل ما كتبه من نسج الخيال ، و أن أي تتطابق هو محض مصادفة ، فهنا يحاول أن يجسد أو يصرح بشرط التَّخييل الذي ينبني عليه الميثاق الروائي، فعلى سبيل المثال ، في رواية زمن الخيول البيضاء للأديب الفلسطيني إبراهيم نصر الله ، نجد ملاحظته التي تمثل الميثاق الروائي كالتالي: أسماء الشخصيات و العائلات غير حقيقية ، و إذا ورد تشابه بينها و بين شخصيات حقيقية فذلك بمحض الصدفة ."[3]

[1] راوية حبشي، انزياح الميثاق السير ذاتي و سؤال التجنيس ، رواية الهجالة لفتيحة بورويبة نموذجا ، مجلة إشكالات في اللغة و الأدب ، كلية الآداب و اللغات ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة، الجزائر ، 2021.09.02، مج 10، ع 3، ص 188.

[2] محمد بوعزة، تحليل النص السردي، تقنيات و مفاهيم، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة الجزائر ، ط 1، 2010، ص 32.

[3] إبراهيم نصر الله، زمن الخيول البيضاء، الدار العربية للعلوم، ناشرون ، بيروت ، لبنان، ط6، 2012، ص 05.

إذن فالسيرة تبنى على شرط وجود الميثاق ،" فلكي تكون هناك سيرة ذاتية يجب أن يكون هناك تطابق بين المؤلف ، و السَّارد ، و الشَّخصية ."[1]

و هو يختلف عن الميثاق الروائي ، و ذكره فيليب لوجون مفصلا فيقول:" في مقابل الميثاق السيرة الذاتية ، نطرح الميثاق الرِّوائي الذي ينفي هذا التطابق (تطابق المؤلف و السارد والشخصية)،ويشمل الميثاق الروائي مظهران: أولهما تطبيق حلي لعدم التطابق (لا يحمل المؤلف و الشخصية نفس الاسم ، و الثاني تصريح بالتخييل .)"[2]

في المقابل يؤكد الناقد العراقي عبد الله إبراهيم بأن :" عدم تطابق الميثاقين لا يفترض تعارضهما و عليه فلا يمكن أن توضع السيرة الذاتية و الرواية في تضاد سردي... ففي كل أثر أدبي سردي ثمة درجة من حضور العنصر الذاتي سواء تم على مستوى الرؤية ، أو المنظور ، أو تم على مستوى الصيغة و الأسلوب ... و لكن من المفيد التقيد الآن بعدم التطابق الكامل بين السيرة الذاتية و الرواية ، دون القول بالتعارض."[3]

و بالتالي يمكن القول أن الناقد عبد الله إبراهيم ، حاول وضع حدّ يفصل به بين هذين الجنسين و هذا ما وافقته عليه الأستاذة "ليلى رحامنية" بقولها:" فالسيرة إذن جنس مستقل عن الرواية ، ولكن هذا لا يعني نفيها تماما عن الرواية ، بل هناك جنس يختلف من تمفصلهما ، و هو السيرة الذاتية

[1] فيليب لوجون ، السيرة الذاتية الميثاق و التاريخ الأدبي ، تر: عمر حلي، ص 24.

[2] المرجع نفسه، ص 40.

[3] عبد الله إبراهيم، السرد و الاعتراف و الهوية، ص 178.

الروائية، و هذا الخلق ، إنما هو في الأصل أخذ جزء من عناصر كل من الجنسين المستقلين لنشيد به عالماً وسطاً بينهما، هو السيرة الذاتية الروائية."[1]

و لكن يتبين أن هناك بعض النقاد لم يقبلوا هذا الامتزاج بين الجنسين و منهم الناقد صالح معيض الغامدي ، الذي يشدد على التفريق بينهما فيرى أن الرواية " نص سردي تخييلي ، أما السيرة الذاتية فهي في أبسط تعريفاتها ... نص سردي توثيقي حقيقي ، فالفرق يكمن في كون الرواية تخييلية الأحداث و الشخصيات، و بالتالي لا تطابق فيها بين الراوي / البطل ، و المؤلف، أما السيرة الذاتية فهي حقيقية واقعية الأحداث و الشَّخصيات ، و يتطابق فيها المؤلف مع الراوي / البطل."[2]

و هذا ما نجده ماثلا عند الناقد و الأديب السوري جورج طرابيشي (ت 2016) ، الذي صرح مفرقاً بين هذين الجنسين ، قائلا في في كتابه الروائي و بطله، " بأن الرواية ليست سيرة ذاتية ، بل إن رواية السيرة الذاتية نفسها ، لا ينبغي أن تُقرأ على أنها سيرة ذاتية ، فالرواية عمل فني و الفن في الإنسان طاقة حرية."[3]

بين هذا الاتفاق ، و الاختلاف ، والقبول و الرفض ، نتوصل للجنس الهجين و المتولد من جنس الرواية و السيرة الذاتية و ما يمكن تسميته " بالسيرة الروائية ، و هي نوع من السرد الذي يتقابل فيه الراوي و الرِّوائي، و يندرجان معاً في تداخل مستمر و لا نهائي ، يكون الرِّوائي مصدراً

[1] ليلى رحامنية، السيرة الذاتية و الرواية، الميثاق و الحدود ، مجلة المدونة، مخبر الدراسات الأدبية و النقدية، جامعة سوق أهراس، الجزائر1،2016، ص 134.

[2] صالح معيض الغامدي ، كتابة الذات دراسات في السيرة الذاتية ، ص 126.

[3] جورج طرابيشي ، الأعمال النقدية الكاملة ، ج3 ، دار مدارك للنشر ، دبي ، الإمارات العربية المتحدة ، ط 1 ، 2013، ص 491.

لتخيلات الراوي ، فالكيان الجسدي و النَّفسي ، و الذهني للروائي يشرَّح في السيرة الروائية ، و يعاد تركيبه ، فالتَّجربة الذَّاتية تشحن بالتخيل."[1]

أي إن الروائي يتخطى حاجز الواقع ، و يستمر الخيال ليوثق أحداثاً وقعت له ، و يمكن أن يحذف أو يضيف أو يغير، و يستعين الروائي بسيرته الذاتية في أحداثه الروائية ، و العكس صحيح أي أنه يستعين بالتخيل الروائي، ليشكل سيرة روائية ، و بالتالي: " تستعير السيرة كثيراً من مستلزمات الرواية ، و تستمد السيرة الروائية عناصرها من الرواية و من السيرة الذاتية ، و تؤسس وجودها مجازياً بينهما."[2]

و لكن يحاول كاتب السيرة الروائية المحافظة على الوقائع الكبرى قدر الإمكان ، "تلك الوقائع التي تكون مثار اهتمامه ، و لا يريد لها أن تذوب في منظومة التخيل الرِّوائية ." [3] نرى ذلك ماثلاً في " رأيت رام الله" سيرة الأديب الراحل مريد البرغوثي ، و كيف أثرت الوقائع التي أحاطت به في أحداث سيرته الرِّوائية ، حيث نفي من فلسطين أولاً ، ثم تم نفيه من مصر عن عائلته الصغرى ، زوجته رضوى عاشور و ابنه الوحيد تميم البرغوثي ، كل تلك الأحداث التي جرت له أضيفت على سيرته مسحة الحزن ، الذي سيفهمه كل منفي عن وطنه ، و الذي يحيلنا إلى أنه يحكى عن الواقع المرير بلا تزييف ، هو المقدمة التي خَطَّها الناقد الفلسطيني إدوارد سعيد (ت 2003) لهذه السيرة

[1] عبد الله إبراهيم ، موسوعة السرد العربي ، ص 411.
[2] المرجع نفسه ، ص415/414.
[3] المرجع نفسه، ص 427.

الروائية حيث يقول: " هذا النص المحكم هو واحد من أرفع أشكال كتابة التجربة الوجودية للشتات الفلسطيني التي نملكها الآن ."[1]

و لعل من أوجه الاختلاف بين السيرة و الرواية ما ذكرته الباحثة جهينة عمر الخطيب في أن " القارئ يُسلم في السِّيرة الذَّاتية بوجود الشَّخصية وجود الكاتب نفسه ، فنحن و إن عمد كاتب السِّيرة الذَّاتية إلى خرق ميثاق الصدق و الحقيقة ، و هذا أحد شروط قيام السيرة الذاتية ، قصداً أو عن غير قصد ، فإنه لا يمكنه أن يتخلص من التطابق القائم بين الكاتب و الشخصية ، و هو التطابق الذي أرساه كاتب السيرة الذاتية نفسه ، و بنى عليه أثره كله ، بينما في رواية السيرة الذاتية هناك خرق لهذا الميثاق ."[2] أي أن كاتب السِّيرة جزء لا يتجزأ منها ، فهو البطل الذي تقوم عليه كل الأحداث .

المبحث الثالث : تاريخ السيرة الذاتية في فلسطين :

1.3. أثر الواقع الفلسطيني في الأدب السّيري :

إذا كانت السّيرة الرّوائية تتمحور حول التخييل الرّوائي ، و تأثير الواقع المعاش للأديب ، فإننا سنحاول تتبع السيرة من خلال الواقع الفلسطيني و مدى تأثيره في النتاج السّير ذاتي لدى بعض الأدباء.

[1] إدوارد سعيد ، مقدمة رأيت رام الله ، لمريد البرغوثي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط 4 ، 2011 ، مقدمة ص (p)

[2] ينظر: جهينة عمر خطيب ، تطور الرواية العربية في فلسطين 48 ، 1998 . 2009، تقديم د: خليل الشيخ ، دط . دت ، ص 162.

يرى بعض النُّقاد بأن السَّاحة الأدبية الفلسطينية قبل نكبة 1948 ، لم تكن تعرف هذا الجنس، بل إن الروايات بصفة عامة ، لم تلق أي رواج ، إلا ما أنتج بعد النكبة ، لأن " الأعمال الروائية والأدبية بصفة عامة قبل 1948 عجزت أن تشكل إرثاً "[1]

إلا أن ذلك لا ينفي وجود بعض المحاولات القليلة جداً قبل 1948، " ففي سنة 1946 أصدر محمد العدناني (ت 1981) روايته (في السرير) التي يستقي وقائعها ، و أحداثها من حادث وقع له فعلاً . و هو مرضه فتحولت معه الرواية إلى عملية سرد لمراحل مرضه ، و سر علاجه من مكان إلى آخر . حاشداً من خلال ذلك ، و رصداً لمجموعة من الحوادث الطريفة و المصادفات الغريبة إلى واجهها ، بصياغة تحرص على الأسلوب الغريب المنمق ، و تكثر من الاستشهاد بالشّعر ، و تطمح إلى تزويد القارئ بالمعلومات مما جعلها أقرب إلى المذكرات ."[2]

كما يمكن أن نجد بعض البوادر في الأدب السير ذاتي ، و ذلك عند " صاحب صحيفة الكرمل الفلسطينية نجيب نصار فقد كتب رواية " مفلح الغساني " [*] و هي بمثابة سيرة ذاتية وثق فيها حياته

[1] ينظر : فاروق وادي ، ثلاث علامات في الرواية الفلسطينية ، غسان كنفاني إيميل حبيبي ، جبرا إبراهيم جبرا... المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1981، ص 33.

[2] المصدر نفسه ، ص 30، نقلا عن أحمد عطية أبو مطر ، الرواية في الأدب الفلسطيني ، 1950 . 1975 ، بغداد ، منشورات وزارة الثقافة و الإعلام ، 1980 ، ص 43 . 46 .

[*] نجيب نصار ، مفلح الغساني ، دار الصوت الناصرة ، 1981 ، و قد ضاعت النسخة الأصلية للكتاب ، و التي كتبت في فترة الانتداب البريطاني . و لم نجد تاريخا محددا لكتابتها ، و في عام 1981 ، تمكن الأديب حنا أبو حنا ، من إيجاد نسخة أصلية ، و إعادة تحقيقها ، و إصدارها كمبادرة منه في حفظ التراث الأدبي الفلسطيني : جهينة عمر الخطيب ، تطور الرواية العربية في فلسطين ، ص 167 .

في ظل الحرب العالمية ، و ظهرت بوادر السيرة من خلال تطرقه إلى فترة النظام التركي ، و اضطراره إلى الهرب ، و التخفي ثم إلى الارتحال إلى مضارب البدو."[1]

فغياب هذا الفن يعود إلى الخوف ذي الطابع السياسي ، فيذكر الكاتب و السياسي " توفيق الحوت" أنه :" خلال المحاولات المضنية لتسجيل مرحلة ما قبل سنة 1948 ، اكتشفنا أن الكثير ممن ترددوا في تسجيل تجاربهم في حينها خشية غضب المتحكمين في القيادة .. ممن كان يثيرهم النقد إلى حدود الانتقام."[2]

ذاك أن السيرة تحتاج إلى الشجاعة ، فهي شكل من أشكال الفضح و انتهاك الأسرار و هذا ما لا يسمح خصوصاً إذا كان الأديب مهتماً بالسياسة ، و هذا حال أغلب الأدباء الفلسطينيين ، بل و أكثر من ذلك فإن الكاتب العربي بصفة عامة " يعيش داخل مجتمع ذو بنية قمعية بامتياز هذه البنية تمارس على الأفراد قمعاً مركباً متعدد الأوجه تعدد المؤسسات التجميعية : العائلة ، العشيرة ، المؤسسة المهنية ، الأخلاق ، الدّين الدولة... و هذه المنظومات لم تفقد سلطتها التقليدية ، و لا شيئاً من قدرتها على محاضرة الأفراد ، و مراقبتها و إخضاعهم للأنماط التي تحددها لسلوكياتهم ، و نمط تفكيرهم "[3]

و كأن السّيرة أصبحت مرفوضة لدى فئات من المجتمع ، فهي مخيفة فاضحة ، حمالة أوجه ، قد تكون لصالح المؤسسات أو ضدها ، و هذا يخص كل الأدباء العرب الذين كتبوا في هذا الشكل ،

[1] جهينة عمر الخطيب ، تطور الرواية العربية في فلسطين 48 ، ص 167.

[2] شفيق الحوت ، عشرون عاما في منظمة التحرير الفلسطينية ، أحاديث الذكريات ، 1964 . 1948 ، دار الاستقلال للدراسات و النشر ، بيروت ، ط1 ، 1982 ، ص 15 .

[3] علي مصباح ، عن السيرة الذاتية في الكتابة العربية ، مجلة الكرمل ، 01 . 10 . 1999 ، العدد 61 ، ص 113 .

فما بالك بالأديب الفلسطيني الذي يكتب سيرته تحت ظل عدة سلطات منها سلطة الاحتلال الإسرائيلي التي تحصي كل شاردة و واردة عن كل جديد يصدر ، و على عكس سنوات النكبة فإن سنوات التسعينيات قد شهدت ازدهاراً لهذا النوع الأدبي ، و بإمكاننا أن ندرج جدولاً نبين فيه أهم الأدباء الذين خاضوا غمار تجربة الكتابة في جنس السيرة الذاتية " و الفترة التي اختار فيها روائيوا فلسطين كتابة سيرتهم ."[1]

اسم الأديب	عنوان السيرة الذاتية	تاريخ كتابتها
معين بسيسو	دفاتر فلسطينية	ط1 . 1978
إميل حبيبي	سرايا بنت الغول	1991
حنا إبراهيم	ذكريات شاب لم يتغرب	الجزء الأول: 1989 الجزء الثاني: 1996
فدوى طوقان	رحلة جبلية ، رحلة صعبة ، الرحلة الأصعب	1993 . 1986
حنا أبو حنا	ظل الغيمة	1997
إحسان عباس	غربة الراعي	1996
مريد البرغوثي	رأيت رام الله	1997
إدوارد سعيد	مذكرات خارج المكان	ط1 ، مترجمة ، 2000 ، 1998 ، صدر بالإنجليزية

[1] ينظر : جهينة عمر الخطيب ، تطور الرواية العربية في فلسطين 48 ، ص 167 . 168 .

يمكن أن نلاحظ أن السيرة الذاتية كُتبت في التسعينيات بكثرة ، و كذا في بداية الألفيات ، حيث نلمح سيراً في سنوات متتالية ، و لعل ذلك يرجع إلى أثر الواقع الذي عاشه الأدباء تلك الفترة المزدحمة بالأحداث ،" فمن يقرأ البئر الأولى لجبرا إبراهيم جبرا ، أو رحلة جبلية ، رحلة صعبة لفدوى طوقان ... أو ولدت هناك ولدت هنا لمريد البرغوثي ... و غيرها يمكنه أن يلمس تجاوز هذه الأعمال دورها كوثيقة جمالية / تاريخية / اجتماعية ... إلى كونها شاهداً مهماً على فترات تاريخية تُطل على المشهد الاجتماعي / الثقافي / السياسي / لفسيفساء المجتمع الفلسطيني ، كما يمكن من خلالها إجراء بحث لفهم و تفسير هذا المجتمع من نواحي متعددة ، و في فترات تاريخية ممتدة ."[1]

فلقد أصبحت السيرة الذاتية من مجرد جنس يرصد حياة شخص ما و فنا يعبر عن حياة صاحبه إلى ما هو أبعد من ذلك ، فقد أصبحت وثيقة يمكن من خلالها معرفة التاريخ ، و حفظه من الضياع ، و ارتقت من كونها جنساً أدبياً فنياً إلى جنس يحفظ أسماء الأشخاص الأحياء و الأموات و المدن المنكوبة ، بل أصبحت جزءاً يصون التاريخ قبل أن يندثر .

2.3 . تجليات الواقع الفلسطيني في بعض النماذج السّير ذاتية:

قد يصبح الأدب سلاحاً فتاكاً في يد صاحبه يواجه به الظالم ،" فالكتابة نوع من أنواع الصّراع مع اللحظة الحدية."[2]

[1] عايدة فحماوي ، المكان و الإنسان في السيرة الذاتية الروائية الفلسطينية ، "أم الزينات "، أنموذجا لكتابة التاريخ الشفوي ، مجلة الدراسات الفلسطينية 130 ، ربيع 2022 ، ص 135 .

[2] خليل الشيخ ، السيرة و المتخيل ، قراءات في نماذج عربية معاصرة ، دار أزمنة للنشر و التوزيع ، عمان ، ط 1 ، 2005 ، ص 250 .

ذاك الصراع الذي يكون ضد الأنا و الآخر ضد كل ما يقف أمام الذات من معيقات ، و لعل الأديب الفلسطيني لديه ما يكفي ليكتب عن ذاته ضد تلك الحواجز ، و المعيقات ، و مما نجده ماثلاً في الأدب ذاك الصراع ضد المستعمر ، و نجد فدوى طوقان [*] في " رحلة جبلية ... و هي رحلة فدوى مع السجن و السجَّان ، و هي رحلة البذرة التي تشق في الأرض طريقاً صعباً ، حتى ترى النور ، أما الرحلة الأصعب فهي رحلة فدوى ، و شعبها مع الاحتلال الصهيوني ، و هي رحلة الموت و الشقاء من أجل استنشاق نسائم الحرية ."[1]

و يمكننا معرفة مدى تأثير الحالة التي كان يعيشها الشعب من خلال تتبع الأحداث التي ذُكرت في سيرة الأديبة . حيث تقول :"... عام 1948 آلاف من اللاجئين يفيئون في نزوحهم إلى نابلس فتكتظ بهم الدور ، و المساجد و المدارس ، و الكهوف ... رحت أكتب الشّعر الوطني الذي طالما تمنى أبي لو يراني أتفرغ له. "[2]

كما أن مسألة الهجرة و النّفي قد أثرت فيها أيما تأثير ، و نجد ذلك في سيرتها الرحلة الأصعب ، حيث تكون في حوار داخلي مع نفسها (مونولوج) فتجيب عن سؤال طرحته عليها الصحفية الإسرائيلية و يكون ردّها :" ألم يأتيها نبأ الأسر الفلسطينية الممزقة حيث يعيش رب الأسرة هنا

[*] شاعرة و أديبة فلسطينية ولدت سنة 1917 ، و قد تم ذكر ذلك في سيرتها الذاتية رحلة جبلية قالت : بين عالم يموت ، و عالم على أبواب الولادة خرجت إلى هذه الدنيا ... 1917 " ينظر رحلة جبلية رحلة صعبة ص 161 . في مدينة نابلس ، و قد عاشت فيها طليقة لا تقيدها وظيفة ... و لكن كبلتها أغلال العادات و التقاليد . من دواوينها نجد ديوان وحدي مع الأيام 1952 . و تلاه الديوان الثاني وجدتها ". ينظر كامل السوافيري . الأدب العربي المعاصر في فلسطين 1860 . 1960 ، دار المعارف ، القاهرة ، دت ، دط ، ص 169.

[1] تهاني عبد الفتاح شاكر ، السيرة الذاتية في الأدب العربي ، ص 94 .

[2] فدوى طوقان ، رحلة جبلية رحلة صعبة ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، عمان الأردن ، ط2 ، 1985 ، ص 137 .

و أولاده هناك وراء الحدود الزوجة بعيدة عن زوجها ، و الأم بعيدة عن أبنائها ، الأخ بعيد عن أخيه."[1]

و هنا يتبين مدى تأثير الأحداث العامة على سيرورة وقائع السّيرة الذّاتية و بناءها فقد " حاولت أن توازي بين الحدث الخاص ، و الحدث العام أو التاريخي ، ثم ركزت على سرد الأحداث الخاصة ، و رصد حركتها لكنها أيضاً لم تُهمل رصد الأحداث التاريخية ، و الحديث عنها من وقت لآخر ."[2]

و للسيرة الذاتية القدرة على تصوير الأحداث بتفاصيلها الدقيقة ، التي قد يهملها الناس فهي " عمل انتقائي يلتقط اللّحظات الأكثر إشعاعاً ، أو الأكثر قتامةً . الأكثر نتوءً و توتراً ، اللحظات التي تعرب عن نفسها لحظات امتلاء بالحياة ببهجتها ، و بمتناقضاتها ، و بصراعاتها ... لحظات ترتبك عندها القناعات ، و المسلمات ، و القوانين العامة ."[3]

و بالتالي تصبح الجنس المثالي للتعبير عن عذابات الذات ، و آلامها و قد استعان الأديب الفلسطيني بها ليبيِّن ، و يصف مدى قهر شعبه ، و يحفظ تاريخه و يصونه ، وليؤسس لذاكرة شعبه . " و هنا يقف إيميل حبيبي * رائداً و منارة في مسار الإبداع ... فهو أديب مهووس بالحفر ، و التنقيب عن كل ما يمكن أن يؤسس لذاكرة الإنسان الفلسطيني ذاك الذي يرزَخ تحت وطئة الاحتلال الإسرائيلي ، ففي "سرايا بنت الغول " هذا الإنتاج الذي يمكن وضعه في خانة السيرة

[1] فدوى طوقان ، الرحلة الأصعب ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، الأردن ، ط1 ، 1993 ، ص 90.

[2] تهاني عبد الفتاح شاكر ، السيرة الذاتية في الأدب العربي ، ص 99 .

[3] علي مصباح ، عن السيرة الذاتية في الكتابة العربية ، مجلة الكرمل ،01 . 10 . 1999 ، ع61 ، ص 109.

* إيميل حبيبي : أحد رواد مسيرة الإبداع الروائي العربي ، ولد في حيفا 1921 ، و توفي عام 1996 ، من أهم مؤلفاته : الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل ، و إخطية .

الذاتية ذاك لأن الأصوات في هذا النص تمرر عبر ذات المؤلف ، و هذا التشخيص الخالص للنزوع السّيري ."[1]

و هي نص سيري نلمحُ على غلافه لفظة خرافية ليَدلَّ على أم العنوان مستوحى من خرافة فلسطينية ، إذ يقول : " اخترت هذا الاسم " سرايا بنت الغول " عن أسطورة فلسطينية قديمة ."[2]

و إن كان العنوان من وحي أسطورة فلسطينية فهذا دليل آخر على تمسك الأديب بتراثه الإنساني (الثقافي) ، حتى و لو بدا هذا التراث صغيراً بحجم أسطورة ،" و لقد حرص "ايميل حبيبي" على توثيق التاريخ الفلسطيني ... في "سرايا بنت الغول " و التي تحمل بذور السيرة و دوافعها ، و لم يكتف بذكره في سيرته ، بل وضع هوامش شارحاً فيها الأحداث التاريخية المختلفة ." [3]

فقد ذكر النكبة ، و ما ألحقته من خسائر في المدن الفلسطينية ، إذ يقول : " و سقطت مدينة عكا في 18 . 05 . 1948 فدمروا الزيب على أهلها و نجا منهم إلى سوريا ، من كان ساعتها في حقله فلم يدفن تحت الردم ، و لم يبق من بيوتها سوى بيت المختار ... "[4] ،كما أن لهزيمة 67 [*] أثر كبير على نفسيته ، فقد أشار إليها باسم آخر ، و أطلق عليها تسمية :" النكبة الثانية ."[5]

---

[1] ينظر : سعيد عبد الهاني ، شعرية التعدد اللغوي في "رواية سرايا بنت الغول " ، مجلة علامات في النقد ، 01 . 12 . 2004 ، العدد 54 ، ص 572 .

[2] إميل حبيبي ، سرايا بنت الغول ، رياض الريس للكتب و النشر ، ط1 ، يناير 1992 ، ص 11 .

[3] جهينة عمر الخطيب ، تطور الرواية العربية في فلسطين 48 ، ص 173 .

[4] ايميل حبيبي ، " سرايا بنت الغول " ، ص 25 .

[*] هزيمة 67 : أو كما تسمى بالنكسة ، و هي سنة 1967 ، التي انتصرت فيها إسرائيل على جيوش العرب ، و قد دامت هذه الحرب لستة أيام

[5] المرجع نفسه ، ص 31 .

و لعل مسحة الحزن هذه ، و التي تطغى على سيرته تعود أنه عايش كل تلك الأحداث المأساوية ، بداية بالنكبة و مروراً بالنكسة ، و هذا ما أثر على تشكيل سيرته ذاك لأن ،" السيرة الذاتية التي كتبها ايميل تندرج في آداب الإنسان المضطهد ، فقد تضمنت كل ما يرد في الذاكرة ، و مشتقاتها و نقائضها ، و أطوارها المحتملة فهي تتحدث عن النسيان و التناسيو الذكرى ، و التَّذكر و المنسي ، و الاستذكار و الماضي ، و الذي كان ." [1]

و ممّا لا شكَّ فيه أن الأديب لم ينبش الذاكرة من أجل تَذَّكر الأحداث الخاصة التي عاشها ، و لكنه كان يعود للماضي صوناً لذاكرة شعب عاش الويلات.. ، فتجسدت في سيرته كل الوقائع التي مرت بها بلاده ، فلم تكن "سرايا بنت الغول" سيرته وحده بل كانت سيرة شعب بأكمله ، و كانت آلاف الشخصيات مختبئة وراء بضع شخصيات ذُكرت .فإن لم يسعه ذكر كل الفلسطينيين فإنه حاول التركيز على أولئك المعذبين.

إذن هناك أدباء كُثر أثَّر فيهم الواقع الفلسطيني ، و تجلى في سيرهم و منهم إدوارد سعيد [*] و مذكراته خارج المكان [**] هذه السيرة التي كُتبت و هو طريح الفراش، " فقبل وفاته بأكثر من عشر سنوات، دخل المفكر إدوارد سعيد في صراع مع المرض عند تلقيه في عام 1991 تشخيصاً طبياً يفيد بإصابته بمرض السرطان منذ ذلك الحين أدرك الراحل ضرورة أن يخلف سجلاً يدون فيه مذكراته فيما

---

[1] فيصل دراج ، ايميل حبيبي ، تقنية الحكاية و بناء السيرة الذاتية ، ع52 ، 01 يوليو 1997 ، ص 193.

[*] إدوارد سعيد: مفكر و ناقد فلسطيني أمريكي ، ولد سنة 1935 ، و توفي سنة 2000 م بسبب سرطان الدم ، من مؤلفاته : "الاستشراق" ، و " الثقافة و الإمبريالية" .

[**] خارج المكان(مذكرات) : إدوارد سعيد ، تر: فواز طرابلسي ، دار الآداب ، بيروت ،ط 1 ، 2000 ، صدر باللغة الإنجليزية في الأصل 1998 knoff ; A ; out of place ; said ; ed ward w .

يشبه نوعاً من السباق المحموم مع الزمن إلى أن انتهى في سنة 2000م من سيرته الذاتية الموسومة بخارج المكان Out of place."[1]

فهو يعترف بأنه كتب سيرته أثناء مرضه ، و قد ذكر ذلك في مذكراته قائلاً : "كتبت معظم هذا الكتاب خلال فترات من المرض أو العلاج ... بدأت العمل عليه في أيار 1994 خلال فترة نقاهة."[2]

و لم يكن المرض هو السبب الوحيد ليكتب سيرتهُ ، بل بصفته سياسياً مدافعاً عن حقوق شعبه، و مؤمناً بقضية وطنه أنتج هذا الإبداع . و قد يُصبح أحياناً الحديث عن الفكرة مرضاً لا يترك صاحبه ، فحتى و هو على مشارف الموت لم يتخلَ عن هدفه الأسمى ، و هو التعريف بقضيته كقضية عالمية .

في سيرته هذه التي بين يدينا " نجد صراعات كثيرة ، صراع ضد المرض ، و ضد الاستعمار باعتباره فلسطينياً هُجِّر فعاش طفولته في القدس ، ثم سافر مع أسرته إلى نيويورك ، و باعتباره عرف لغتين لغة الأم العربية ، و لغته الثانية الإنجليزية ، و التي كتب بها في معظم الوقت هذه الصراعات أثرت في شخصيته ، بل إننا نجدها حتى في اسمه الكامل إدوارد الغربي ، و سعيد العربي."[3]

و هذه السّيرة هي شاهد عيان لكل تلك الصّدمات التي عاشها ، و تعايش معها . فهي "توثيق بشكل من الأشكال لإستراتيجيات المقاومة التي تبنّاها الراحل منذ بدايات حياته اتجاه أكثر من

[1] ينظر : قاسمي عبد الناصر ، السيرة الذاتية و ثقافة المقاومة في مذكرات إدوارد سعيد " خارج المكان" مجلة علوم اللغة العربية ، قسم العلوم الاجتماعية ، جامعة الوادي / الجزائر ، 15. 03 . 2023 ، مج 15 ، ع 01 ، ص 694.

[2] إدوارد سعيد، خارج المكان ، ص 17 .

[3] ينظر: إدوارد سعيد ، خارج المكان ، ص : 10 . 17 . 25 .

صعيد مقاومة، لم يكتف فيها سعيد بالتصدي للاستيلاء الصهيوني على الأرض و الذاكرة الفلسطينيتين ، بل تتصدى في اعتقادنا لكافة أنماط الهيمنة ."[1]

و بحكم أن عائلته هجرت فلسطين ، فإنه لا يملك ذكريات طفولة كثيرة عنها على عكس أعماله الكثيرة التي تحدث عنها ، و دعمه الدائم لبلده الأم فيقول : " ذكرياتي الأولى عن فلسطين ذكريات عادية ، و الغريب أنها غير لافتة قياساً إلى عميق انشغالي اللاحق بالشؤون الفلسطينية ، كانت فلسطين مكان أُسلم به تسليماً ."[2]

و هنا يتبين لنا مدى تمسك الأديب بوطنه ، و كيف أنها باتت جزءً لا يتجزأ منه ، ففي مذكراته تتجلى لنا ،" حكاية النكبة و الاستيلاء الصهيوني على فلسطين ، فسعيه لتدوين مذكراته كان من قبيل إنقاذ أماكن طفولته من الاندثار و الضياع ، فقد روى بعناية فائقة قصة قدسه المغتصبة ، لمقاومة محاولات المستعمر إنكار تاريخه الفلسطيني ، و مساعي الصهيونية الحثيث لمحو آثار وجوده المتأصل في المدينة ، بعد أن نجح في اقتلاعهم من المكان ، و طردهم إلى خارج المكان ."[3]

و بين احتلال فلسطين ، و ظلم إسرائيل كان هناك هَمّ كبير يقف على قلب الأديب ألا و هو مشكلة اللاجئين هؤلاء الذين أسماهم "الآخرين" و الذين كان يتشارك معهم الحزن و الألم يذكرُهم فيقول : " اِختَبرت فلسطين أول الأمر تاريخاً و قضية من خلال الغضب و الاستنكار اللَّذين أثارهما

[1] قاسمي عبد الناصر ، السيرة الذاتية و ثقافة المقاومة في مذكرات إدوارد سعيد ، خارج المكان ، مجلة علوم اللغة العربية و آدابها ، ص 694 .

[2] إدوارد سعيد ، خارج المكان ، ص 45 .

[3] ينظر : قاسمي عبد الناصر ، السيرة الذاتية و ثقافة المقاومة في مذكرات إدوارد سعيد ،" خارج المكان "، ص 700 .

فيَّ عذاب اللاجئين هؤلاء الآخرين الذين أَدخَلَتهُم هي (يقصد عمته نبيهة) إلى حياتي ، و هي أيضاً أول من نقل إلى مشتقات أن يكون المرء بلا وطن أو مكان يعود إليه ."[1]

يضيف مُعَدِداً في سيرته هموم اللاجئين ،" محروماً من حماية سلطة أو مؤسسات وطنية عاجزاً عن أن يعطي ماضيه أي معنى غير الأسف ...و عن أن يعطي أي معنى لحاضره غير الوقوف في الصفِّ يومياً و البحث القلق عن العمل ، و معاناة الفقر و الجوع ، و المذلة ."[2]

و كأن الناقد إدوارد سعيد أصبح جزءً من اللاجئين يتقاسم معهم مرَّ العيش ، و همَّ هجر الوطن . و كأني به واحداً من هؤلاء الآخرين الذين يجوبون شوارع الليل بلا وطن ، و بلا هوية ، و بلا أمل .

و لعل أعظم وقع أثر في الأديب ، و المفكر إدوارد سعيد هو خسارة 1967 ، إذ دفعته إلى ميدان السياسة فالخسارة أثرت في كيانه و منه لا بدَّ أن تؤثر في أدبه . باعتبار أن الأدب فن يتأثر ويؤثر . فيقول :" بتُّ قادراً على أن أتبين بوضوح أكبر ... وقع الخسارة المستمرة لفلسطين على حياتنا ، و حياة سائر أقربائنا ، و حِمل العام 1967 المزيد من التفكك و قد بدا لي أنه يجسد بامتياز التفكك الذي يختزل سائر الخسائر الأخرى : العوالم المتوارية لنشأتي و صباي ... و الدراسة و العلم ... لم أعد الإنسان ذاته بعد العام 1967 ."[3]

[1] إدوارد سعيد، خارج المكان ،ص 158 .
[2] المرجع نفسه، ص 159 .
[3] إدوارد سعيد ، خارج المكان ، ص: 356 .

فالسّيرة كانت نتاجاً لكل تلك الخسائر المتراكمة ، فهي في الأدب الفلسطيني ذات طابع خاص، فكان الأديب يكتب لأنه بحاجة لذلك. بحاجة لأن يحفظ الحقائق ، و يُشكل التاريخ. و الواقع الفلسطيني الذي كان مزيجاً بين الاستعمار و الخسائر المستمرة (النّكبة و النّكسة) و التّهجير و القتل ... كل ذلك جعل من سير أولئك الأدباء ذات طابع خاص تختلف عن تلك التي كُتبت في بقية الوطن العربيّ .

الفصل الثاني

البناء الفنّي والموضوعات المشكلة لسيرة سأكون بين اللّوز

المبحث الأول : العناصر المشكلة لسيرة سأكون بين اللوز .

1.1 . الميثاق سير ذاتي.

21 . المؤلف و السارد و الشخصية .

3.1. اللُّغة.

4.1 . الزمن و الرجوع للمكان .

المبحث الثاني : ظواهر فنية مميزة للمدونة .

1.2 . الأسطورة .

2.2 . الرمز.

3.2 . الأغاني الشَّعبية .

المبحث الثالث : بناء الموضوعات التي عالجتها المدونة .

1.3 . الاحتلال.

2.3 . الإغتراب و الشتات.

3.3 . المرض.

3. 4 . جدلية الحياة و الموت.

المبحث الأول : العناصر المشّكلة لسيرة سأكون بين اللوز :

لقد هزت قضية فلسطين منذ القدم الرأي العام ، بِاعتبارها قضية دينية و تاريخية ومنه " احتل الصراع العربي الاسرائيلي مرتبة مهمة في اهتمامات الإنسان العربي ، و هذا الاهتمام فرض نفسه على الأعمال الأدبية في فلسطين ، وإذا كانت قضية النِّضال الفلسطيني قضية من نوع خاص فربما يكون للصوت الفلسطيني الفني و الأدبي طابع خاص يميزه ، كذلك و بالنظر للعمل الأدبي في فلسطين نلاحظ أنه انصرف إلى جانب كبير منه إلى تصوير صراع الإنسان الفلسطيني ، و تفاعله مع قضيته و معاناته."[1] و لعل الأديب الفلسطيني حاول أن يكون مرآة للشعب ، مجسداً في أدبه لكل قضايا الأمة ، باعتبار أن الأديب جزء من الكل ، يمتاز عن البقية بقدرته على التَّعبير عن القهر و الظُّلم ، فيصبح أدبه سلاحاً فتاكاً يُصور الواقع . و من أشكال الأدب التي استعان بها ليُعبر عن الجرح الفلسطيني هي السِّيرة ، ذاك الجنس الذي حاول أن يجعل من الحياة الاجتماعية مكاناً ليتجسد فيه ، و حاول قدر الإمكان ، أن يبتعد عن الخيالات التي تطارد الشَّاعر و الرِّوائي على حدٍّ سواء إلى الواقع الذي يكون أكثر منطقية للتعريف بهموم شعبه ، و لعل الأديب حسين جميل البرغوثي حاول تصوير الواقع ، و التَّعريف بوطنه ، و نفسه و ذلك في سيرته "سأكون بين اللوز " [2].

و هنا سنحاول دراسة هذه السِّيرة و تفكيكها ، و الوصول للنتائج .

و الجدير بالذكر أن أي سيرة لها عناصر تُشكلها و تقوم عليها ، فكانت هذه السِّيرة التي بين أيدينا مؤسسة على عناصر هي :

---

[1] محمود موسى محمود زياد ، الأدب الفلسطيني في سجون الاحتلال الإسرائيلي ، 1987 . 2000 ، رسالة استكمال لمتطلبات الماجيستر في الدراسات العربية المعاصرة ، كلية الدراسات العليا ، جامعة بيرزيت ، فلسطين ، 2006 ، ص 01 .

[2] ينظر : حسين جميل البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، ط 1 ، 2004 .

1.1 . الميثاق سير ذاتي : " إن السِّيرة الذَّاتية تقترح اتفاقاً مع المسرود له تحت القارئ الواقعي على الدخول في اللعبة ، و تعطي انطباعاً بوجود اتفاق موقع عليه من الطرفين ."[1]

أي إنَّ المتلقي يدخل إلى النص بحمولة مسبقة في أن ما سيقرؤه هو سيرة ذاتية ، يتمثل هذا الاتفاق الذي ذكره الناقد فيليب لوجون في الميثاق سير ذاتي و الذي يُبرم بين الكاتب و القارئ ، " و هو مصطلح ابتدعه فيليب لوجون ، و يعني به إقرار المؤلف إقراراً صريحاً لا لبس فيه ، بأن ما كتبه هو صورة مطابقة لحياته ، و بأنه هو راوي القصة التي أنشأها و هو الشَّخصية الرَّئيسية فيها ، و بناء على هذا الإقرار يدعو المؤلف قارئه إلى التعامل مع النص على أنه سيرة ذاتية ."[2]

و إن كان الشَّكل الغالب على الميثاق يكمن في التَّطابق ، فذلك لا ينفي حضوره في أشكال أخرى ، فقد يتجسد في ، " العنوان ، و العنوان الفرعي ، و الإهداء و المقدمة ، و التعاليق المثبتة على غلاف الكتاب .

أو حتى الأحاديث الصحفية التي يقوم بها المؤلف زمن نشر الكتاب نفسه ."[3]

و هذا ما كان واضحاً و جلياً في سيرة سأكون بين اللوز ، فالعنوان يحيلنا إلى بيت الطفولة الذي عاش فيه الأديب ، حيث ولد و ترعرع في بيت تحفه أشجار اللوز ، فيعترف في سيرته قائلاً : " كان أبي قد زرع جنائن بيتنا باللوز في سنة 1948 سنة زواجه "[4]

---

[1] فيليب لوجون ، السيرة الذاتية الميثاق و التاريخ الأدبي ، تر : عمر حلي ، ص 13 .

[2] محمد القاضي ، معجم السرديات ، ص 446 .

[3] المرجع نفسه ، ص 446 .

[4] حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 53 .

و هذا يُبيِّن لنا سبب التَّسمية ، فهو عاد إلى الوطن ، و البيت الذي زرعت فيه جنائن اللوز ، عاد إلى فلسطين ، و إلى رام الله ، و إلى قريته ليكون بين اللوز ، و يدفن بينه كذلك ، و للعنوان أهمية كبيرة ، " فهو أول ما يصادفنا قبل قراءة أي متن ، و غالباً ما يكون وراء قراءتنا للكثير من الأعمال الأدبية ، و اقتنائها و نحن لا نعلم عن مضمونها شيئاً ، سوى أن عنوانها أثار فينا الفضول ، و يعتبر العنوان عنصراً أساسياً في النص فهو مفتاح الإجرائي يمكن من خلاله الولوج إلى النَّص ، و كشف أسراره ."[1]

و نحن هنا أمام سيرة ذاتية يحاول فيها الكاتب أن يحافظ على الميثاق بينه و بين القارئ ، فيعنون هذا الأديب سيرته ب " سأكون بين اللوز " و يرى الأستاذ فادي البرغوثي بأن اختيار هذا العنوان كان يعود ربما بالأساس إلى ارتباط اللوز بطفولة الأديب بشكل كبير ، فهو ولد و قضى طفولته بين اللوز كما أن قبر والديه وسط أشجار اللوز عند البيت .*

أما على غلاف السِّيرة ، و فوق اسم الكاتب مباشرة ، نلاحظ تصريحاً بأن ما كُتب هو سيرة ذاتية .

و فيما يخص التعاليق فإننا نجد قراءة الناقد الفلسطيني أحمد دحبور (ت 2017) ، و التي صُدّرت بها سيرة سأكون بين اللوز ، و كانت بعنوان : "حسين جميل البرغوثي كما أراد بين اللوز

[1] طيبي بوعزة و علي كبريت ، تجليات السيرة الذاتية في الرواية العربية الحديثة ، رواية المرايا لنجيب محفوظ أنموذجا ، مجلة البدر ، ص 190 .

* حوار أجريناه مع الأستاذ فادي البرغوثي أخ الأديب حسين جميل البرغوثي سألناه فيه عن سبب التسمية ، و كانت تلك إجابته ، 2022 . 11 . 13 ساعة 41 :13 .

و الرؤيا " " و التي يعترف فيها الناقد بأن ما يقدم له هو حكي عن الذات فيقول : هو في سيرته التي بين أيدينا يذهب إلى البدايات " .[1]

كما نجد تعليقاً آخر على الغلاف كتبه الشاعر محمود درويش ، في تقديمه للجزء الأول من هذه السيرة ن و الذي كان بعنوان الضوء الأزرق [2]، قال فيه " لعله أجمل إنجازات النثر في الأدب الفلسطيني " ، و يقول في تقديمه كذلك " كتب سيرته الناقصة سأكون بين اللوز التي تشكل امتداداً لكتاباته المميزة " [3]

و من هنا نتوصل إلى أن سيرة سأكون بين اللوز قد احتوت على أهم شرط لتكون سيرة ذاتية ، فصاحبها يُوثق على ذلك و يؤكد على كونه يكتب في هذا الجنس .

2.1 . المؤَلِّف و السارد و الشَّخصية :

إنَّ السِّيرة الذَّاتية تفرض نوعا من التطابق بين المؤلف ، و السارد والشخصية ، و يكون هذا التطابق بالاستعانة بضمير المتكلم ، و قد " اعتاد كُتَّاب السيرة الذاتية أن يستعيدوا ذكرياتهم و تجاربهم بضمير المتكلم ، و أن يثبتوا أسماءهم (الاسم الشخصي أو العائلي أو حرف يحيل إلى واحد منهما) أو كليا (الاسمان معا) .[4]

[1] أحمد دحبور : حسين البرغوثي كما أراد بين اللوز و الرؤيا ، تقديم لسيرة سأكون بين اللوز ، ص 10 .

[2] ينظر : حسين جميل البرغوثي ؟الضوء الأزرق ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2004 .

[3] تقديم محمود درويش ، لسيرة حسين البرغوثي ، الضوء الأزرق .

[4] محمد الداهي الحقيقة الملتبسة ، ص 177 .

و الاستعانة بضمير المتكلم ، و الذي يتعلق بالمؤلف الذي ينتج النص ذاك يعني أن يصبح المؤلف مطابقاً للسارد و للشخصية ، و هذا ما يفر منه الميثاق لأنه في العادة " غالبا ما يتحدد تطابق السَّارد و الشَّخصية الرَّئيسية الذي تفرضه السِّيرة الذَّاتية من خلال استعمال ضمير المتكلم " [1]

فالتطابق يفرضه وجود هذا الضمير و العكس صحيح ، و هذا ما نجده في نص حسين البرغوثي، إذ يخاطبنا الأديب بضمير المتكلم " أنا " و ذلك في كل أطوار سيرته فيقول مثلا : " بعد ثلاثين عاما أعود إلى السكن في ريف رام الله ."[2]

و قد اتسمت سيرة سأكون بين اللوز بتوظيف صاحبها المكثف لهذا الضمير بيد أننا نستثني بعض الجمل القصيرة التي كان يستعمل فيها ضمير المتكلم " نحن " و ذلك للإشارة منه إلى عائلته الصغيرة قال : لما رجعت إلى بيتنا ."[3]

و كان يستعين لهذا الضمير ليربط روحه بروح ابنه آثر فكان كلما ذكر نفسه ، و ذكر ابنه ربطهما بهذا الضمير يقول : " كان لدي شعور بأننا أنا و آثر نعرف بعضنا ."[4]

و يستعمله للإشارة إلى العائلة : كنا نسكن ... أنا و هو و زوجتي بترا في بيت في بيرزيت ."[5]

[1] فيليب لوجون ، السيرة الذاتية ، ص 24 .
[2] حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 33 .
[3] المرجع نفسه ، ص 37 .
[4] المرجع نفسه ، ص 59 .
[5] المرجع نفسه ، ص 59 .

ثم إننا نلاحظ في السيرة تطابقا تاما بين المؤلف و الذي " له صلة بالكتابة و بالأثر تصنيفاً و وضعاً ."[1]

و بين السارد الذي " يقوم بعملية سرد الأحداث في شكل تتابع خاضع لمنطق خاص من خلاله القدرة على تشكيل عالم دلالي و قيمي ."[2]

و بين الشخصية البطلة و المحورية التي تدور حولها الأحداث . فحسين البرغوثي يكتب باسمه الحقيقي و الكامل و نجد هذا التطابق حرفيا و ذلك في :

1 . اسم حسين : " أما اسمي حسين فلا مدينة له ، دائما كنت أشعر أن لا صلة لي حتى باسمي."[3]

2 . البرغوثي : و هو الاسم العائلي : " عندما تزوجت بترا سألتني : لماذا سموكم براغثة فقلت لها ضاحكا : نسبة إلى الأسود ."[4]

3 . جميل : و هو اسم والده : " أما اسم أبي جميل قاسم جميل ، و لكنه سائد إلى حد الملل."[5]

4 . بترا : و هو اسم زوجته " اسم زوجتي أصلاً إيمان [*] ، و سميتها بترا المدينة الوردية ."[6]

---

[1] محمد القاضي ، معجم السرديات ، ص 365 .

[2] محمد شهري ، الخطاب السير ذاتي في الرواية الجزائرية المعاصرة ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه ، ص 69 .

[3] حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 93 .

[4] المرجع نفسه ، ص 93 .

[5] المرجع نفسه ، ص 93 .

[*] الإسم الكامل لزوجته هو إيمان نجم و غير اسمها إلى بترا البرغوثي .

[6] المرجع نفسه ، ص 92 .

5 . فادي البرغوثي : و هو أخ الأديب : قال لي أخي فادي إن أحد الفلاحين كان في الدير الجواني أمس و كاد يموت ."[1]

نتوصل في الأخير إلى أنَّ الأديب حافظ على الميثاق السِّير ذاتي فنجده يصرح بأن ما كتبه يندرج في إطار جنس السِّيرة الذَّاتية ، و بأنه حافظ على التطابق الثلاثي (المؤلف ، السَّارد ، الشَّخصية) فقد ذكر اسمه الحقيقي كاملاً ، و أسماء من حوله ، كما ذكر اسم مدينة رام الله ، و حافظ على الأحداث التي جرت له بكل صدق و صراحة .

3.1. اللغة :

تعتبر اللغة النواة الأولى التي يبنى عليها أي نص ، و هي الركيزة التي يتأسس عليها الإبداع " و من بديهيات القول أن نقرر أن اللغة هي وعاء الفكر و الإحساس و التجربة ، و أن الكتابة الجيدة توأم التفكير السليم. "[2]

و إن المتأمل للغة النَّص السِّيري فإنه سيجدها تندرج ضمن الثلاثي الفكر الإحساس و استثمار التجربة الشخصية ، و بما أن الأديب حسين البرغوثي كان شاعراً فإن لغته كانت شاعرية و مليئة بالأحاسيس ، "و يكثر فيها تكرار بعض الألفاظ أو العبارات مما يخلق نوعاً من الإيقاع يشبه الإيقاع الموجود في الشعر ."[3]

[1] حسين البرغوثي ،سأكون بين اللوز ، ص 65 .

[2] نبيل خالد أبو علي ، عناصر الإبداع الفني في شعر عثمان أبو غربية ، إتحاد الكتاب الفلسطنيين ، القدس ، ط 1 ، 1999 ، ص 63 .

[3] ينظر : تهاني عبد الفتاح شاكر ، السيرة الذاتية في الأدب العربي ، ص 152.

و يظهر التكرار من خلال الجملة التي تكررت كثيراً " هذا الجمال الذي تمت خيانته" [1] ، و يكرر يعيدها مرة أخرى في موضع آخر حيث يقول " أتسلل إلى جبال طفولتي سراً كي أعود ... إلى هذا الجمال الذي تمت خيانته ."[2]

فهو غاب عن فلسطين ، و عن جنائن اللوز لمدة ثلاثين سنة ، و هذا الغياب عدّه خيانة إذ يقول :" بعد ثلاثين عاماً أعود إلى سكن في ريف رام الله إلى هذا الجمال الذي تمت خيانته ."[3]

فالهجر بالنسبة له خيانة لهذا الجمال ، كما نجده يكرر اللفظتين (بداية و نهاية) في أكثر من موضع كقوله : " نفيت نفسي طوعاً عن بداياتي ... و أنا ممن يتقنون البدايات و ليس النهايات . و عودتي ... نهاية غير متقنة ."[4] كما يقول كذلك " و أحاول تركيب بداياتي من نهاياتهم."[5]

و يحاول أن يجعل بيته بداخله ليمنحه القوة ، " قوة البدايات كي يواجه به قسوة النهايات ."[6]

فالبدايات بالنسبة له هي طفولته ، هي جنائن اللوز ، و ذاكرة المكان و قسوة النهايات التي كان يواجهها ، هي السرطان و الانهيار ، و الموت فكان يبحث عن بداياته ليستمد منها القوة لمواجهة النهايات .

---

[1] حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 33 .

[2] المرجع نفسه ، ص 51 .

[3] المرجع نفسه ، ص 33 .

[4] المرجع نفسه ، ص 33 .

[5] المرجع السايق ، ص 38 .

[6] ينظر : المرجع نفسه ، ص 78 .

أما فيما يخصُّ الأفعال فقد استعمل الأديب " صيغة الفعل الماضي و التي كانت الأكثر استخداما لأن السيرة الذاتية تعتمد دائماً على الرجوع من الحاضر إلى الماضي ."[1]

فالأديب يستذكر و يحاول الإمساك بتلابيب الذَّاكرة ، و يعتمد على فعل التَّذكر و بالتالي فالفعل الماضي الأنسب للسيرة ، فعلى سبيل التمثيل لا الحصر نجده يقول : " و مضيت نحو منزلنا القديم ." [2] و يقول كذلك " رجعت ليس لأني نجوت ."[3]

و يستخدم الفعل المضارع " لإيهام القارئ بالحضور و الفورية "[4].

فكان يكتب ، و كل ذهنه حاضر ، و كان يُدوِّن سيرته و هو مريض فحاول قدر الإمكان أن يحافظ على وتيرة حضوره ، و ذلك باستعمال الفعل المضارع كقوله " لكي أسافر بعد يومين إلى مركز الأمل للأورام."[5]

و يقول في موضع آخر " أشعر الآن بخوف ما من هذا الخطّ "[6]

إذن نلاحظ أن الأديب يستعمل الفعل الماضي ، حيث يستدعي التذكرو يستعمل الفعل المضارع ليؤكد على حضوره " و لا يترفع الأديب عن استخدام بعض الكلمات العامية خاصة في الحوار ، إذ أن معظم المشاهد الدرامية في سيرته تعتمد على اللهجة العامية ."[7]

---

[1] ينظر : تهاني عبد الفتاح شاكر ، السيرة الذاتية في الأدب العربي ، ص 177 .
[2] حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 81 .
[3] المرجع نفسه ، ص 82 .
[4] تهاني عبد الفتاح شاكر ، السيرة الذاتية في الأدب العربي ، ص 177 .
[5] حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 82 .
[6] المرجع نفسه ، ص 103 .
[7] تهاني عبد الفتاح شاكر ، السيرة الذاتية في الأدب العربي ، ص 238 .

خصوصاً تلك الحوارات التي جمعته مع ابنه الصغير آثر ، فهو ينقلها لنا كما جاءت على لسان الطفل ، و من الأمثلة على ذلك سؤال ابنه له حيث كان في المستشفى ، سأله قائلاً : حْسين ، حْسين . وينك ؟

أنا والله كنت أبحث عنك ! .[1]

أو حواره مع طبيب الأورام ، و الذي جمع فيه الفصحى ، و العامية و الكلمات المعرَّبة عن الإنجليزية ، حيث يستذكر :

." قلت لها نيغاتيف يعني لست مصاباً ، فش آيدز ؟

. نعم .

. نيغاتيف يعني نيغاتيف ، يعني لست مصاباً . صحيح ؟ ... . وجدتني أميل برأسي ذات اليمين و ذات الشمال ... أوه حْسين ، حْسين شوف ! ... فأوقفني دكتور أمراض الدم في الممر .. قال : تقرير المختبر وصل . عندك ليمفوما (سرطان في الغدد الليمفاوية) ."[2]

بالإضافة إلى هذا الزَّخم اللغوي نجده يورد بعض النماذج من الشعر المعاصر خصوصاً الشعر الذي نظمه الشاعر محمود درويش كالأبيات التي يقول فيها :" . علَى الأنْقَاضِ وَرْدَتُنا و وَجْهَانَا عَلى الرَّملِ . إذا مَرَّتْ رِياحُ الصَّيفِ أَشْرعْنَا المَنَادِيلا

. عَلَى مَهْلٍ ... علَى مهلٍ ."[3]

[1] حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 80 .
[2] المرجع نفسه ، ص 64 .
[3] المرجع نفسه ، ص 58 .

أو أبياتا أخرى ، نظمها الشَّاعر مُظفر النواب يقول فيها :

. البَحْر سيُوصِلُني

. أو تَأتِي البصرة في الأحْلامِ ... و تَأخُذُني ."[1]

و كان استشهاده بأبيات محمود درويش كثيراً ربما يعود السبب لأن حسين البرغوثي شاعر حداثيّ مثله نظم في الشِّعر الحرِّ ، كما أنه استشهد ببيت للمتنبي ، و الذي قال فيه : . يَظلُ يَجِيئ الذي قدْ مَضى

. لأنَّ الذِّي سوْفَ يَأتِي ذَهب ."[2]

كما أنه يستحضر الكتب التي اطلع عليها ، و القصص التي قرأها و يترك بصمة الفلسفة التي أثرت فيه ، فهو يبدأ سيرته بالاستشهاد بالفيلسوف الدانماركي "سورين كيركيغارد " [*] الذي يستشهد باقتباس له ليصف لنا حاله مع السرطان ، ذاك الاقتباس الذي قال فيه الفيلسوف " مرعب إلى حد لا يمكنني عنده أن أصفه إلا بالقول بأنه مرعب إلى درجة مملة. "[3]

تلك النزعة الوجودية بالإضافة إلى لمسة الفلسفة العدمية ، هذا الخليط يشكل لنا نظرة الأديب لكل ما يدور حوله .

و يمكن أن ندرج بعض المؤلفات التي ذكرها في سيرته و منها :

[1] حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز، ص 81 .

[2] حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 78 .

[*] سورين كيركغارد : فيلسوف وجودي.(1813 . 1855)

[3] المرجع نفسه ، ص 33 .

عنوان الكتاب	اسم المؤلف	الصفحة
الإخوة كارامازوف(رواية)	فيودور دوستويفسكي	ص 52
فصل في الجحيم (ديوان)	رامبو	ص 64
اسمي و أنا	أنطون تشيخوف	ص 93
قصائد الأغنية العميقة	لوركا	ص 126
قصيدة الأعراف	إدغار ألان بو	ص 128

كما أن اللغة كانت في الغالب لغة راقية شاعرية ، و قد استعمل اللغة التقريرية أحيانا " فلم تعدم سيرته من وجود الأسلوب التقريري في بعض المواضع."[1]

و ذلك حين وصف الحوت الأزرق قائلاً : " الحيتان الزرقاء مذهلة لسان حوت صغير منها أثقل من فيل ، و لها نتوء فوق الأنف تستشعر به أمواج الجاذبية الأرضية ... و هذه الثدييات تغني و لها أكثر من أربعمائة صوت ."[2]

4.1. الزمن و الرجوع للمكان :

أ. الزمن : لا تخلو السِّيرة الذَّاتية من الزَّمن ، و هو مؤشر مهم تُبنى عليه الأحداث و " هناك فرق جوهري بين الزَّمن في السِّيرة الذّاتية ، و الزَّمن في الرِّواية بضمير الغائب ... فالزمن في السِّيرة الذَّاتية يُشبه الزمن في الرواية بضمير المتكلم ."[3]

[1] تهاني عبد الفتاح شاكر ، السيرة الذاتية في الأدب العربي ، ص 241 .
[2] حسين جميل البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 109 .
[3] تهاني عبد الفتاح شاكر ، السيرة الذاتية في الأدب العربي ، ص 162 .

أي أنَّ السِّيرة بضمير المتكلم تشبه في زمنها الرواية بضمير المتكلم ، فما يُحدد تشابه زمنهما هو الضمير ،كما أنَّ السِّيرة تعتمد على الاستذكار فهي بالتالي " تبدأ من الحاضر ، و ترجع إلى الماضي ، و صاحب السيرة يتناول أحداثاً جرت و انتهت ."[1]

و هناك زمنان في السيرة الذاتية يذكرهما الناقد تهاني عبد الفتاح شاكر هما :" الزمن الطبيعي ، و الزمن النفسي (السيكولوجي) ."[2]

. الزمن الطبيعي : "هو العلاقة الزَّمنية بين الأشياء ، و لا يتأثر بإدراك المرء الحسِّي ، و هو بكلمات نيوتن : الزمن المطلق الحقيقي ، الرياضي يجري بنفسه و بطبيعته بصورة مطردة دون أي علاقة بأي شيئ خارجي."[3]

فهذا الزمن لا يتأثر بالحالة النَّفسية للأديب ، فَيبقى ثابتاً في الطول و القِصر ، دون أي تأثير خارجي ، " و السِّيرة الذَّاتية تحتفي بالزمن الطبيعي ... لأنها تَسرد وقائع حقيقية حدثت في زمن معين ."[4]

لكننا لا نجد ذلك بقدر كبير في سيرة سأكون بين اللوز ، فالأحداث تُسرد و تطول و تقصُر في الزمن حسب الحالة النَّفسية للأديب ، " و لأن الزمن الطَّبيعي لا يرتبط بالأحداث التَّاريخية فقط ، بل بالأحداث الخاصة أيضاً ."[5]

---

[1] تهاني عبد الفتاح شاكر ، السيرة الذاتية في الأدب العربي، ص 136 .

[2] المرجع نفسه ، ص 131 ، 132 .

[3] مندلاو ، الزمن و الرواية ، تر : بكر عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط 1 ، 1997 ، ص 76 .

[4] تهاني عبد الفتاح شاكر ، السيرة الذاتية في الأدب العربي ، ص 131 .

[5] المرجع نفسه ، ص 131 .

فالأديب أجاد في ذكر الأحداث التي مرَّت به ، حين ذكر بأن أباه " قد زرع جنائن اللوز ... في سنة 1948 ."[1]

و الزمن الطبيعي هو الزمن الذي تحدُث فيه الأفعال العادية البسيطة التي لا تحتاج إلى إحساس و لا ادراك ،" فزمن الساعة إنما هو عُرف كيفي متكلف جداً وُضع لضرورة اجتماعية بُغية تَنظيم ، و تنسيق الأفعال ... فنحن نُدرك القطار ... أو نجلس لتناول العشاء حسب زمن السَّاعة ."[2]

و قد كان التَّسلسل الزَّمني سلساً و منتظماً ، فبدأ سيرته بتذكر سبب عودته إلى فلسطين مروراً بالسنوات التي مرضَ فيها ، و رحلاتِه العِلاجية إلى أن يتوقف عن الكتابة قبل أن يُنهي سيرته بسبب موته ، و كانت الأحداث متسلسلة لا تخلو من الاستذكار و الاسترجاع ، و ذلك في قوله مثلاً :" كنت أحلم و أنا طفل بأن أكون راعي إوز ... أو غزلان ... ألححت على أمي فاشترت لي شاة حمراء شيطانة ..."[3]

و يستعمل الحذف كذلك في بداية سيرته حيث يَذكر أنه : " بعد ثلاثين عاماً أعود إلى السَّكن في ريف رام الله ."[4] و الزَّمن بصفة عامة " يتجه إلى الأمام ، و لكنه يتقدم إما صاعداً نحو التقدم و التطور ، و النُّمو ، و إما هابطاً نحو الاضمحلال التدهور و الانحطاط ."[5]

---

[1] حسين جميل البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 53 .

[2] مندولا ، الزمن و الرواية ، تر: بكر عباس ، ص 76 .

[3] حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 47 . 48 .

[4] المرجع نفسه ، ص 33 .

[5] سيزا قاسم ، بناء الرواية ، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ ، مهرجان القراءة للجميع ، 2004 ، مكتبة الأسرة ، ص 70 .

و الزَّمن في سيرة سأكون بين اللوز يهبط للاضمحلال بما أن النِّهاية كانت غير مُبشرة ، فكان كلما مرَّ الزمن كلما ازداد المرض إلى أن وصل إلى ذُروته . أما الزَّمن الآخر فهو النَّفسي الذي يُعرف بأنه:

. الزمن النفسي (**السيكولوجي**) : "هو زمن نسبي داخلي يقدر بقيم مُتغيرة باستمرار بعكس الزَّمن الخارجي (exterior time) الذي يُقاس بمعايير ثابتة ، فليس من الضَّروري أن تُمثل ساعة واحدة قدراً مساوياً من النشاط الواعي كساعة أخرى ."[1]

و هو زمن تابع للكاتب بطبيعة الحال فهو مُنتج النَّص ، و هو الذي تُؤثر عليه الحالات النَّفسية أثناء ابداعه للنص و منه ،" فالوقت السيكولوجي يتغير كثيراً تبعاً للظروف ، فهناك الذين يمشي معهم الزَّمن ، و الذين يَخف معهم الزَّمن ، و الذين يعدو معهم الزَّمن ، و الذين يقف معهم ساكناً ."[2]

و من مظاهر الزَّمن النَّفسي السيكولوجي في هذه السيرة هي أنها " رحلة شاقة مع مرض يُصنف بأنه مرض عُضال ... منذ لحظة اكتشافه ثم الصِّراع معه و مواجهته ، و لكنها لا تخضع للترتيب الزَّمني المنطقي و لا تبدأ من نقطة الصِّفر، و هي لحظة الاكتشاف و التَّشخيص ، و لكنها تضع المتلقي في بُؤرة الحدث منذ المشهد الأول ... ليقف القارئ مباشرة أمام ذات مريضة متألمة ."[3]

[1] مندلاو ، الزمن و الرواية ، ص 137 . 138 .

[2] المرجع نفسه ، ص 138 .

[3] هدى بنت عبد الرحمان إدريس الدريس ،الذات في مواجهة السرطان ، لا وعي النص في سيرة حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، مجلة الدراسات اللغوية و الأدبية ، العدد 2 ، الجامعة الإسلامية العالمية ، ماليزيا ، 12 . 2021 ، ص 189 .

فيَذكر أنّه بعد ثلاثين عاماً عاد بسبب المرض ، و لكنه في تلك الثلاثين سنة لم يذكر العام الذي مرض فيه ، بل وضعنا أمام الأمر الواقع أي أنه مرِض ، و فقط .

و لقد أصبح الزَّمن في السِّيرة أثناء الاسترجاع ، و هو يَحكي قصص عائلته و أجداده ،" زمن الآخرين لا زَمَنه الذي يَكتب عمله أثناءه ... و بدل أنْ يُصبح الآخرون جزءً من زمن صاحب السِّيرة ، صار الأديب يُؤرخ زمنه بزمن الآخرين ."[1]

و هو يسترجع ذاكرة المكان يعود بنا إلى زمن والدته فيقول " كانت أمي يتيمة ، و عاشت زمناً ترقص و تُغني في مواسم فلَّاحي المنطقة ."[2]

" كما أنه يُعالج فترة زمنية طويلة مُمتدة في بضعة أسطر ."[3]

حيث يحكي قصة تَبَنِّي أُمه من طرف عمّ لها ، و عن كيفية موت هذا العم بسبب سُم أفعى لدغَتهُ ، و بالتالي فهو أثناء الاسترجاع يكون من أولئك " الذين يَخف معهم الزمن ."[4]

ثم يذكر هذا العم قدورة " شيخ عِملاق و صلب كان يَسكن مع أخيه على ما أعتقد في هذا الدير ، و كاناَ قاطِعي طُرق مُسلَّحين أيضا ."[5]

[1] حاتم الصكر ، كتابة الذات ، دراسات في وقائعية الشعر ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، ط1 ، 1994 ، ص 197 .
[2] حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 35 .
[3] سيزا قاسم ، بناء الرواية ، ص 78 .
[4] مندولا ، الزمن و الرواية ، ص 138 .
[5] حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 36 .

و يُكثر من هذا النَّوع من التَّذكر الذي يَخص ذاكرة المكان ، و " إنْ لم يتوقف على استرداد الذِّكريات كمسرودات شفوية برواية دقيقة للمتن و المعنى بقدر ماراح يتماهى مع ذكريات العائلة و يتجاوز زمنه إلى زمنهم كفعل لمدى تَجذُر كَينونة الهُوية في الإنسان و المكان ."[1]

و يُلمِّح الأديب لمستقبله المجهول فيقول :" مهما حدث إن زرتني سأكون بين اللوز ستكون شمس و يكون نوار يتطاير في الهواء ... و يكون نحل و طريق نحل و حتى يأتي ذلك الوقت قاوِم."[2]

في هذه السيرة يكتب الأديب عن ماضي أجداده ، و عن حاضره المحاصر بين الاحتلال و المرض ، و عن المستقبل الغَامض ، و بالرغم من كل ذلك إن زُرته سيكون بين اللوز .

ب . الرجوع للمكان :

بعد كل تلك الغُربة ، و ذاك الاغتراب يعود حسين إلى حيث يجب أن يكون ، إلى ذلك الجمال الذي لا يُنسى ، و الذي لا يُمكن خيانته ... ، " إنَّ نص السِّيرة الذَّاتية يُحاول إعادة خلق المكان الواقعي بالكلمات بعد أن يُضفي عليه المؤلف شيئاً من إحساسه به ."[3]

فجنائن اللوز التي كان بيت الأديب بجوارها هو مكان واقعي يُعيد تشكيله المؤلف بالكلمات فيجعله أقرب إلى جنة في الأرض منه إلى منزل و حديقة " و المكان في السِّيرة هو مكان واقعي ، لكن صورته لا تصل إلينا كما كانت على أرض الواقع بل كما كان صاحب السِّيرة يراها ."[4]

---

[1] زبير بن سحري ، الاعتراف في سيرة حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، مجلة ميلاف للبحوث و الدراسات ، مجلد ع 1 ، المركز الجامعي عبد الحفيظ بو الصوف ، ميلة ، 6 ، 2022 ، ص 219 .

[2] حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 62 .

[3] تهاني عبد الفتاح شاكر ، السيرة الذاتية في الأدب العربي ، ص 136 .

[4] المرجع نفسه ، ص 137 .

و يستدعي حسين البرغوثي ذاكرة المكان ، فيقول : " خَطرتْ ببالي ذاكرة المكان هذه ، و أنا واقف فوق الخرائب غرباً في قمة جبل مُغطى بغابات صنوبر و سرو و بلوط ."[1]

و المكان عنده ليس مكاناً فحسب بل هو " شكل من أشكال مُقاومة الآخر و الموت ، إنَّ ذِكره للمكان نوع من المقاومة في الوجود و التَّشبث بالحياة ما إن يُهدد وجودنا في المكان ، و لأن الكثير من الصراعات الدولية تَحتكم لفكرة الأثَر الأقْدم و الأعْتق و لو كلمة ... ناهيك عن قوة الأدلَّة المادية ."[2]

و كأنه يُدافع عن المكان ، و عن ذاكرته ، و يحفظها من النِّسيان ، و كأنه يقول للآخر : أنا أعرف هذا المكان قبلك ، و هذا المكان يَعرفني ، بل وصل به الأمر لأن يتَّحِد معه إذ يقول : " لقد مرض الجبل بالسرطان ."[3]

لِيدُل على أنه ثابت وقَار كالجبل ، و أمام هذا الصِّراع الفلسطيني الإسرائيلي حول المكان ، كان من الطَّبيعي أن يَزداد تَشبث الإنسان الفلسطيني بأرضه ، و حبه لها " فكلمة أرض لم تَعُد بالنسبة إليه مجرد تراب و حجارة فالأرض هي الوطن و الأُم ، وهي التي تحفظ كرامته ."[4]

و للمكان أهمية كبيرة بالنسبة للأديب ذاك المكان الذي سمَّاه " الجمال الذي سبق و خنته ."[5]

---

[1] حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 36 .

[2] زبير بن سحري ، الإعتراف في سيرة حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، مجلة ميلاف للبحوث و الدراسات ، ص 219 .

[3] حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 62 .

[4] تهاني عبد الفتاح شاكر ، السيرة الذاتية في الأدب العربي ، ص 176 .

[5] حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 62 .

خانه لأنه هاجر و تركهُ ، و عاد إليه بعد ثلاثين سنة ، و خاطبهُ الجبل أو هكذا بدا له بأن " شيئ في الجبل كان يقول لي كُلما حدّقت في الزيتون و الأودية المقمرة ... قاوِم هذه الأرض لك قاوِم! ."[1]

و هذا الذِّكر المتكرر للمكان إنَّما هو " عمل لتأكيد الهوية و تَجذِيرها في المكان من جهة ، و لإثبات الوجود من جهة ثانية ، لأن أغلب صراعات الهوية تشمل حدود المكان و تعالقاته ."[2]

و يَذكر حسين البرغوثي الأمكنة المحتلة بأسمائها العربية فيقول : " تَشع أضواء النيُون من مستعمرة اسرائيلية تُدعى حلميش عندهم ، و مستعمرة النَّبي صالح عندنا ."[3]

ليَدل على أنه مازال لهم نصيب من المكان ، و حتى إن غيَّروا الاسماء فإنهم لن يستطيعوا تغيير التَّاريخ أو مَحوهُ ، بل حتى أسماء الأمكنة لم تكن اعتباطية ، و كانت مدروسة و مُنتقاة ، فيذكر الدِّير الذي سكن فيه أجداده الذي اسموه "الدِّير الجَواني" على الرغم من " أنَّ خارج السور ثعالب و ضباع و جن ، و كثرة من كائنات لا ترى " مكان براني" تماما ، و مع ذلك سماه أهلي القدماء (الجواني) ، و كأنه أقرب إليهم من حبل الوريد ."[4]

بل و أكثر من ذلك فالأديب يسير ، و بداخله أرضُه : فليكن ! في أقصى روحي "دير جواني".[5] هذا هو الارتباط بالمكان عن طريق الذَّاكرة ، إنَّه الإتحاد مع المكان .

---

[1] حسين البرغوثي، سأكون بين اللوز ، ص 62 .

[2] زبير بن سخري ، الإعتراف في سيرة حسين البرغوثي سأكون بين اللوز ، مجلة ميلاف للبحوث و الدراسات ، ص 220 .

[3] حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 36 .

[4] المرجع نفسه ، ص 71 . 72 .

[5] حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 72 .

نستنتج بأن سيرة سأكون بين اللوز سِجِل حافل بالتواريخ و الأمكنة حيث حافظ فيها الأديب على ذاكرة الوطن من خلال حفاظه على ذاكرة العائلة ، و ذكر الأمكنة و التعلق بها .

المبحث الثاني : ظواهر فنية مميزة للمدونة .

1.2:الأسطورة : لفظةُ أسطورة من الألفاظ التي تَحمل في طياتها ألفاظاً عميقة تُحيلنا إلى المعرفة و الاكتشاف ، حيث يدور المفهوم العام للأسطورة على أنَّها " حكاية مقدسة ذات مضمون عميق يشفُ عن معاني ذات صلة بالكون و الوجود ، و حياة الإنسان ."[1]

و هي قصة خرافية استعان بها حسين البرغوثي ليَحفظ لنا التُّراث الفلسطيني من الزوال ، و إنَّ إدراج الأسطورة في هذه السِّيرة له أهمية كبرى ، فهو يحاول عبر حُضورها أن يَصون التُّراث من الاندثار باعتباره تراثاً مقدساً يتم السَّطو عليه ، أو تهميشه من طرف الاحتلال ، كما أنها تعد " نشاطاً فكرياً متكاملاً مارسه الإنسان البدائي منذ أقدم العصور و مازال يمارسه إلى يومنا هذا ... فكانت مَلاذه لمجابهة واقع صعب عليه فهمه ، و وجد نفسه مقحماً فيه ذات يوم ، و كانت إجابة عن التساؤلات التي أقضَّت مضجعه ."[2]

[1] فراس السواح ، الأسطورة و المعنى ، دراسات في الميثولوجيا و الديانات المشرقية ، دار علاء للنشر ، دمشق ، ط 2 ، 2002 ، ص 14 .

[2] عبد المجيد حنون ، الموروث الأسطوري في الأدب العربي الحديث و الأدب المقارن ، مجلة إشكالات ، العدد 11 ، معهد الآداب و اللغات بالمركز الجامعي تامنغست ، الجزائر ، 2017/2 ، ص 181 . 182 .

و المتتبع للأساطير المذكورة في سيرة سأكون بين اللوز ، يجدها من ثقافات مختلفة فالكاتب قد " أورد الكثير من الأساطير الإنسانية مختلفة الثقافات ، عربية و إسلامية ، و مسيحية ، التي تعمل على استمرارية الهوية ."[1]

و هذا التنوع في الأساطير مفادُه التَّنوع الطَّبيعي في بلاد فلسطين ، إذ نجد فيها العربي ، و المسيحي و اليهودي ، فكان لِزاماً على الكاتب أن يخاطب كل واحد من هؤلاء بالقصص و الأساطير التي تُناسب فكره ، و مُعتقده الدِّيني ، و كانت هناك أيضا أساطير مرتبطة بالعائلة ، تشبه تلك القصص الخرافية التي ترويها الجدَّات للأحفاد ، فكانت خاصة بالجو العائلي كالأسطورة التي يقول فيها بأن في القصب سراً إلهيا ، كان الله سبحانه قد أودعه في صدر النبي محمد ، و لم يستطع النبي تحمله فباح به إلى علي بن أبي طالب ، و " لم يستطع علي تحمله أيضا فذهب إلى واد عميق و بعيد و باح به لقصب ذلك الوادي من يومها ، و كل ناي من القصب تصدر عنه نعمة ، هي سر إلهي ممنوع لفظه بالكلام ."[2]

و جاء ذِكر هذه الأسطورة مصاحبا لذكره العزْفَ المتوارث في العائلة و للربابة الخاصة بعم أمه ، و الذي كان عازفاً ، و قد " أُورد هذه الأسطورة في معرض تاريخ عائلته ، و تمسكِ أفرادها بموسيقى

[1] ينظر: الزبير بن سخري ، الإعتراف في سيرة حسين البرغوثي سأكون بين اللوز ، مجلة ميلاف للبحوث و الدراسات ، ص 222 .

[2] حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 38 .

الناي ... إنها تمسك بالمكان ، و مثل الناي الذي يظلُ يبحث و يسأل عن واديه يظل الفلسطيني كذلك في أغانيه يُمجد الوطن الأول ."[1]

و كانت أساطير العائلة في الغالب تسردُها عليه أمه ، و من الأساطير العربية نجد الأسطورة المتعلقة بالطرب فيشرح بأنه " عند العرب حين يلهم الله مغنياً ، يَهتف الناس (الله الله يا شيخ) ، و يدعو العرب هذا طرباً كان في مدينة البتراء معبد يشبه معبد ديونيسيوس إله الخمر ... و الموسيقى ... و كانت العرب تقول عمن مسه جنون ديونيسيوس هذا (لقد بطر) نسبة إلى بترا... و تحرفت اللفظة إلى طرب ."[2]

كما أنه أَوردَ أسطورة إسلامية تدور أحداثها حول سيدنا الخضر و المسيح عليه السَّلام ، و اللذان مرَّا على قلعةٍ لأميرٍ بخيلٍ ، و "عوض أن يذبح لهما من غنمه ، و طيوره ، ذبح لهما طفلاً يتيماً ، و طبخه باللبن فنهض سيدنا الخضر ، و قال : قم يا ذبيح اللبنية ، فنهض الطفل أمامهما فدعى سيدنا الخضر ، الله سبحانه و تعالى ، فحول أغنام الأمير إلى غزلان ، و كل دجاجه إلى حجل بري ."[3]

[1] زبير بن سخري ، الإعتراف في سيرة حسين البرغوثي سأكون بين اللوز ، مجلة ميلاف للبحوث و الدراسات ، ص 223 .
[2] حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 109 .
[3] المرجع نفسه ، ص 47 . 48 .

و قد أدْرج هذه الأسطورة ، ليُبيِن لنا ثمن الحرّية ، حيث بسبب ذلك الطفل الذي قُتل عرفت البهائم معنى الحرّية ، و عوض أن يكون راعي غنم تمنى أن يكون راعي إوز ، أو حجل ، أو غزلان لأنهم يعرفون ما هي الحرية ،" و لما كان ... مستحيلاً أصبح يحنُ إلى مرافقة الرعاة ."[1]

لأنه يعلم جيداً أنه من المستحيل تطويق الأحرار .

و كان للأساطير الفرعونية نصيب من السِّيرة ، منها أسطورة الزَّمن الضَّائع ، و التي ظهرت حين قرر الفراعنة القدماء تغيير سنتهم القديمة من 335 يوماً إلى 360 يوماً ... و لم تفهم العامة كيف طارت ، " خمسة أيام من السنة فقالت بأن الإلهةَ القمرية إيزيس خسرتها في لعبة دومينو مع أحد الآلهة ... و كل من يولد في هذه الأيام الخمسة ، يولد خارج الزمن و إلى حد ما هذا يعني ، الولادة في الزَّمن الضَّائع ، أو الزَّائد عن الحاجة ."[2]

يُحاول حسين البرغوثي اسقاط هذه الأسطورة على عائلته ، و ذاك في قوله : " طغى عليَّ شعور بأننا نحن الثلاثة وُلدنا خارج الزَّمن ."[3]

فهو يرى بأنه أسس أسرة غريبة إلى حد ما ، أب على وشك الموت و زوجة باسم جديد ، و كنية جديدة ، و ابن باسم غريب لم يعرفه البقية أكان عربياً أم غربياً ، هو ببساطة يرى بأنهم عائلة تأسست على معايير مختلفة .

[1] حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز، ص 48 .
[2] المرجع نفسه ، ص 61 .
[3] المرجع نفسه ، ص61 .

و أسطورة أخرى قال فيها بأن " الفراعنة القدماء يعتقدون أن السماء الأولى من حديد ، و من يريد الصُّعود إليها يصعد عن قمم الجبال ، سلالم الروح ."[1]

كما أنه أدرج بعض الأساطير الإغريقية فيذكر بأن " الإلهام عند الإغريق قمري ، فربات القمر التِّسعة ، الميوزات هنَّ من يلهمنَ المغني ، و ينفخنَ من أنفاسهن في فمه ، هكذا يبدأ هوميروس مثلا ملحمة الأوديسة بأن يسأل الميوزات أن يلهمنه ، أو حتى يغنينَ ."[2]

هذا التَّنويع في الأساطير الذي شهدته السِّيرة جعلت منها سيرة حية تنتقل من أسطورة عصرٍ ما ، لعصرٍ آخر ، و كانت تُؤسس لِلَمِّ الشَّمل الفلسطيني ، أياًكان فكره ، فكانت بالتالي ، " تأنيث إنساني في تناغم عابر لكل الثقافات دون أي صراع ، أو عداء مادام الإنسان غايته ."[3]

2.2:الرمز :

تعتبر سيرة حسين البرغوثي سأكون بين اللوز رمزاً يُسلط علينا نوراً يشع من بعيد و على الرغم من أنَّ حسين البرغوثي عانى الهجرو الابتعاد إلا أنه سيكون بين اللوز ، و يُعرف الرمز بأنه " شيئ يمثل شيئاً آخر ، فيظن بأنه يمثله بالتشابه ، أو بالعرف ، أو بالترابط في الأذهان خاصة ، حيث يمثل شيئ مادي شيئاً معنوياً كأن يرمز الأسد للقوةو الحمامة للسلام ."[4]

و بالتالي يتطلب الرَّمز وجود شيئين اثنين يشتركان في صفة واحدة أو أكثر ، و " الرَّمز كلمة أو عبارة أو تعبير آخر يمتلك مركباً من المعاني المرتبطة ، و بهذا المعنى يُنظر إلى الرَّمز باعتباره يمتلك

[1] حسين البرغوثي، سأكون بين اللوز، ص 102 .

[2] المرجع نفسه، ص 110 .

[3] زبير بن سخري ، الاعتراف في سيرة حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، مجلة ميلاف للبحوث و الدراسات ، ص 224 .

[4] نواف نصار ، المعجم الأدبي ، دار ورد للنشر و التوزيع ، الأردن ، ط 1 ،2007 ، ص 87 .

قِيماً تختلف عن قيم أي شيئ يرمز إليه كائناً ما كان ... و بذلك يكون العلم ، و هو قطعة من القماش يرمز إلى الأمة ، و الصَّليب يرمز إلى المسيحية ... و يستخدم الأدب الرموز كثيراً ."[1]

و هو بعبارة أخرى شيئان يشتركان في صفة معينة ، مما جعل أحدهما يتشابه مع الآخر ، و الرَّمز أنواع كثيرة ، و متعددة ، نذكر بعضها و الذي أورده الكاتب في سيرته سأكون بين اللوز .

أ. الرَّمز الدِّيني:

حاول الأديب أن يستعين بمختلف المصادر الدِّينية الإسلامية و غيرها من الدِّيانات الأخرى ، و ذلك يُبرهن على مدى سعة ثقافته بالديانات السَّماوية بل و الوثنية كذلك ، فيرمز للدِّير الجَواني ، المكان الذي ترعرع فيه ، بأنه : " زيتونة مباركة لا شرقية ، و لا غربية ، و يكاد زيتها يضيئ و لو لم تمسسه نار ."[2]

و هو تناص ، و محاولة اسقاط آية على الواقع الذي يعيشه ، و تِبيان مدى تعلقه بأرضه التي تشبه الزَّيتون ، فهذا النَّبات الأخضر على مدى السَّنة لا تسقط أوراقه ، فالدِّير الجواني باقٍ بقاء الزيتون ، و صمودهِ. و من الرُّموز اليونانية القديمة نجد شخصية الكاهن أو العرَّاف " تايريزياس عَّراف معبد دلفى ،"[3] و الذي يذكره كثيراً في نصِّه ، فيقول كذلك " و أنا تايريزياس رأيت كل هذا ،" [4] و مرة أخرى يكرر " كنت تايريزياس الأكثر نضجاً ."[5]

---

[1] إبراهيم فتحي ، معجم المصطلحات الأدبية ، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين ، تونس ، دط. دت ، ص 171 .

[2] حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 56 .

[3] المرجع نفسه ، ص 83 .

[4] المرجع نفسه ، ص 117 .

[5] المرجع نفسه ، ص 118 .

و هو العرَّاف الذي كان يعرف الحقيقة كاملة عن الملك أوديب ، و قد كان يرمز للمعرفة الكاملة و الحكمة ، فبعد إصابته بالسرطان كان يلمح بأنه يعلم ما ينتظره تماماً كما علم العرَّاف ما ينتظر الملك أوديب .

أما من الدِّيانة المسيحية فأخذ رمز المسيح عليه السَّلام فيقول : سأرجع إلى الأرض و أمشي ... عليها كطفل نبي ،"[1] و يقول في موضع آخر :" عليَّ العودة نحو الطفل الكامن فِيَّ ، لكي أمشيَّ في الأرض طفلاً نبياً ."[2]

و يذكره للمرة الثالثة قائلاً :" فكرت و أنا أحدق في المرآة أن كل ما يلزمني ثوب طويل ... يليق بطفل نبي ."[3]

و الطِّفل النبي كما نعلم هو سيدنا عيسى عليه السَّلام ، فالأديب يُلمح إلى أنّه و إن مات ستبقى روحه حية كالنبي الذي رُفع للسماء ، و لم يمت فيقول : " ففي حياتي الحالية سأحيي لأعرف ، لكن في حياتي التالية ... سأرجع ... كطفل نبي ."[4]

و من قصص الأنبياء استعار عصا موسى عليه السَّلام ، فيقول : "كل طفل ساحر بدائي ، و له عصا كعصا موسى من كلمات مسحورة ." [5]

---

[1] حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز، ص 85 .
[2] المرجع نفسه ، ص 106 .
[3] المرجع نفسه ، ص 118 .
[4] المرجع نفسه، ص 85 .
[5] المرجع نفسه ، ص 107 .

و هو لم يقصد السِّحر بعين ذاته ، و إنما قصد سحر الكلمات ، و الذي يتشكل من خلال الرؤية المختلفة لدى الطفل ، فكما سحرت عصا موسى عليه السَّلام أعين سحرة فرعون ، يُشكل الطِّفل الكلمات بالشَّكل الذي " يراه بعيون مسحورة ."[1]

و مما نجده من الدِّيانة الإسلامية "القيامة" ، و هي رمز للثورة النَّفسية ضد المرض ، فيتساءل : " ألم تحِن قيامتي بعد ؟ ". [2]

و كما تقوم القيامة لا بد أن يقوم ، و يلي تساؤله عدّة أفعال تبرهن على عودته فيقول :" سأنضج ... سأرجع ... سأحيا ... سأرجع و أمشي ."[3] فهو سيقوم ، و ستحين قيامتُه.

ب . الرَّمز التَّاريخي :

يستذكر حسين البرغوثي في سيرته تاريخ بلاده ، بالرغم من آلامه و معاناته " فمن التاريخ ، و من أحداث جرت في العهد القديم ، و من أمجاد خلت ، و من عهد ليس بالبعيد استمدَّ الأديب رموزه ، و ألبسها ثوب إيحاءاته ، فخرجت تُبحر على سطور سيرته ، و تعبر عن مكنوناته و دواخله ، و تُلقي بصيدها إلى كل قارئ ، و متلقي يستطيب ، و يستلذُّ ماشاء منها ." [4]

و قد بقيَ الأديب الفلسطيني كجدار يمتد أمام هيمنة إسرائيل التي تسعى لهدم التَّاريخ ، و طمس الهوية ، فما كان منه إلا أن يُوظف أكبر كم من الرُّموز التَّاريخية كالأمكنة ، و الشُّخوص ،

---

[1] حسين البرغوثي، سأكون بين اللوز، ص 107 .

[2] المرجع نفسه ، ص 85 .

[3] المرجع نفسه ، ص 85 .

[4] ينظر : رُلى يوسف صبحي عصفور ، الرمز في الشعر الفلسطيني المعاصر ، (فواز عيد و محمد القبسي و أحمد دحبور) أنموذجا ، أطروحة مقدمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية و آدابها ، كلية الدراسات العليا ، الجامعة الأردنية ، 2013 ، ص 72 .

و ذاك رداً منه على هذا المستعمر الغاشم ، و أول ما يقابلنا في هذه السِّيرة هو اسم "قدورة" ، شيخ عملاق و صلب ."[1]

و الذي كان يحرص الدِّير الجواني من اللّصوص ، و هذه الشَّخصية التي تَبنّت أم الأديب ، و لم تزل تُقاتل و تحمي المنطقة ، و التي كانت بالنسبة له وطنه ، إلى أن " قتلته أفعى زعراء ".[2]

إن شخصية قدورة ترمز لتاريخ المكان ، و إن سقوط هذه الشَّخصية هو سقوط لفلسطين كلها ، " و هي ذاكرة الضحية و جلادها ."[3]

الضَّحية قدورة ، و الذي يرمز للأرض و الجلاّد ، هو الأفعى التي ترمز للإسرائليين ، و يموت قدورة ، و لم يختفِ التَّاريخ ، بل ترك وراءه ربابة كان يعزف عليها ، فهي امتداد له ، و استمرار لهذا التاريخ ، بل يُؤكد بأن " قدورة كان هنا من قبل ما كان الشَّجر عالي ."[4]

فقدورة كان قبل الشَّجر ، و قبل إسرائيل ، و بالتالي فلسطين تعرفهم من قبل أن تعرف المحتل .

و من المدن التَّاريخية التي ذُكرت ، و كانت تَرمز للثبات و الجمال ، هي مدينة البتراء ، و هي المدينة التي نُحتت في الصَّخر ، و ذلك يدل على ثباتها ، و تجلد من بناها ، و هي ترمز كذلك للإرث الذي تركه أجداده يقول : " و عبثاً حاولت أن أُقنع الموظف أنني لست أجنبياً عن إرثي و إرثه ."[5]

---

[1] حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 35 .

[2] المرجع نفسه ، ص 36 .

[3] المرجع نفسه ، ص 37 .

[4] المرجع نفسه ، ص 72 .

[5] المرجع نفسه ، ص 115 .

كما ذكر أسماء كثيرة من التَّاريخ على رأسهم الأمير الشَّاعر المعتمد بن عباد ، و الذي كان رمزاً للخسارة الفادحة للوطن ، فهو أمير فقد بلاد الأندلس ، و بعد أن فكر الأديب أن يسمي ابنه على هذا الأمير تذكر الخسارة الفادحة التي تلقاها فخاف من أن يُكرر التَّاريخ نفسه ، و أن يخسر ابنه فلسطين للأبد ، " و هو لا يُريد أن تكون مدينة اسم ابنه مدينة رغبات خاسرة ، و أمراء خاسرين [1]".

و هناك اسم " لوركا "[*] الشاعر الإسباني الذي لم يتخل عن وطنه و لكن وطنه تخلى عنه ، و الذي كان سيُطلق على ابنه اسمه ، و من رموزه التَّضحية ، و الرُّجوع إلى إسبانيا ، فخاف أن " يهيمن عليه اسم لوركا ، و سيرجعه دائما إلى إسبانيا ."[2]

و هو لا يريد أن يحب ابنه إسبانيا أكثر من فلسطين ،كما أنه ذكر اسم علي بابا و أنكيدو، و" اللّذان قال أنهما صديقاه،" [3] علي بابا رمزاً للمغامرة ، و حب الاكتشاف ، و أنكيدو صديق جلجلامش رمز للحرية، و حسين البرغوثي يشترك مع الرَّجُلين في أنه عاش ثلاثين سنة مغامراً باحثاً عن حريته.

ج . الرَّمز الطَّبيعي :

سأكون بين اللوز عبارة تأخذنا إلى الارتباط الوثيق بين حسين و الطَّبيعة حتى في هجره لبلده كان دائم التذكر لجنائن بيته ، و سحر بلده ، " و قد كانت الطَّبيعة نبعاً للرموز و الأساطير لا نهاية

[1] حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 95 .

[*] لوركا: فيديريكو غارثيا لوركا شاعر إسباني و مسرحي ولد سنة 1898 سافر إلى أمريكا في شبابه ثم عاد إلى إسبانيا ليتم إعدامه في بلده سنة 1936 .

[2] المرجع نفسه، ص 94 .

[3] المرجع نفسه ، ص 95 .

له ، لقد احتضنت منذ البدء بالفعل الإنساني ، تثيره ، و تُنمّيه ، و تُحاوره بسحرها ، و جلالها الغامض الطري ، كانت مصدراً لدهشة الإنسان ، و مبعثاً لحنينه ، و إحساسه بالجمال ، كانت بعبارة أخرى رمزاً لتشوقه إلى المطلق ، و السَّامي البعيد ."[1]

و الطَّبيعة شريك الإنسان في الحياة ، و هي التي يهرب إليها كلما ضاقت به ، و يستمد من رموزها ما يعبر به عن نفسه ، فنجد حسين البرغوثي يحاور الطَّبيعة من خلال الاستعانة برموزها ، فنجد الضَّبع " الذي يخشى النَّار ، و يهاجم المنفردين ،"[2] و نجد الضَّبع الذي " يخطف عقل الرَّجل التائه المنفرد ".[3]

فالضّبع رمز الغدر ، و رمز لأفعال المحتل الجبان ، و الذي لا يهاجم الجماعة ، بل يهاجم المنفرد فقط ، و يظهر توظيف الرَّمز الطّبيعي جلياً و واضحاً في السِّيرة ، فنجد الزَّيتون في قوله : " رفعت يدي مثل الشَّجر العالي من هذا المرج الواسع كي أبدو كزيتونة لا ككهف ."[4] فالزيتون رمز النَّماء، و العلو في السَّماء ، أما الكهف فمكان ضيق و له حدود ، و نجده يذكر الزَّيتون ، و زيته فيقول عن ابنه ،" أنا و أمه زيتونتان هو زيتهما الآتي ."[5]

---

[1] علي جعفر العلاق ، في حداثة النص الشعري ، (دراسات نقدية) ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط 1 ، 1990 ، ص 62 . 63 .

[2] حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 35 .

[3] المرجع نفسه ، ص 50 . 51 .

[4] المرجع نفسه ، ص 46 .

[5] المرجع نفسه ، ص 59 .

حتى إن مات فإن جزءً منه لم يمت بعدُ كامن في ابنه الصغير آثر ، فهو الأصل ، و ابنه فرع منه ممتد ، " مدَّ الزيتون في الزَّيت ."[1]

كما أن حضور شجر اللوز جليّ ، فيخبرنا بأن " أباه زرع جنائن اللوز سنة 1948 ، "[2] و يقول كذلك " لاحظت بأن اللوز بدأ يُنور ، لمست النوار ، و شممته ، و شعرت بأنَّني أنا أيضاً سأنور في يوم ما ."[3]

و يبقى مع اللوز و نواره ، في حواره مع أمه ،" قلت لها : إن اللوز بدأ يُنور ... أشارت إلى تلك اللوزة قرب البئر ، و قالت : هذه أول ما يُنور ."[4]

و اللّوز جزء من الهوية الفلسطينية ، و كان حضوره باهتا قبل صدور هذه السيرة ، و قد زُرعت في عام النَّكبة ، و هي رمزياً تشير إلى البعث أي أن اللوز هو بعث من تحت رماد النكبة ، و هي أول ما ينور .

و ذِكر الجبل كان بارزاً و متكرراً ، و كان يشير إلى أنه يتحد مع الجبل " لقد مرض الجبل بالسرطان ،"[5] و هو رمز للقوة و الثبات في الأرض ، بل وصل به الأمر بأن يكون هو و الجبل واحداً لقوله " مادام صوت الجبل يمتد في صوتي ... فأنا هو و هو أنا ،" [6] لكنه جبل " ثابت لا قدرة له

[1] حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 57 .
[2] المرجع نفسه ، ص 59 .
[3] المرجع نفسه ، ص 54 .
[4] المرجع نفسه ، ص 55 .
[5] المرجع نفسه ، ص 62 .
[6] المرجع نفسه ، ص 113 .

على الحركة لأنه اختار الثبات كمدينة البتراء ، و اخترت الحركة كالنَّار و الهواء ، و الأغنيات و الحكايات ."[1]

فالأديب هنا صامد و باقٍ كالجبل ، و لكنه يختلف عن الجبل في كونه إنسان يتحرك ، و يعيش و يموت ، أما الجبل فباقٍ بقاء فلسطين و ثابت ثباتها ، و استعمل رمز آخر لا يختلف في ثباته عن الجبل ، و لكنه صغير و ضعيف هو" عصفور رمادي تكاد الريح تشلع أجنحته ، و لا يطير بل يتشبّث بمكانه ."[2]

فهو يشبه الفلسطيني عديم الحيلة ، إلا أنه يقف أمام المحتل صامداً لا يرحل بل يتشبث بأرضه ، و يرمز لنفسه بحيوان غريريا ، حيوان صغير مُطارد من قبل الصيادين ، و يشبه المريضات اللواتي يَلدنَ و يمتن في المستشفيات " إنهن غريريات أخرى كثيرة في مستشفى رام الله ."[3]

هذا الحيوان الذي يخاف ، و يُستهدف و يُقتل يرى فيه نفسه ، و" عند هذه اللحظة يهتك حسين البرغوثي حجاب الرَّمز ، و يرى نفسه في الغريري الحيوان الصغير ."[4]

3.2 . الأغاني الشعبية :

لعل المواساة من الآلام ، و الحرمان تكمن في الأغاني الشعبية التي لها صلة مباشرة بالموروث الثقافي لفلسطين ، و من الظواهر البارزة في السيرة ، و الملاحَظة بشدة هي بروز الأغنية الشعبية ، و التي " تُعدّ أحد ملامح التَّاريخ الفلسطيني الرَّاسخ ، و التُّراث العريق ، و أحد أهم أجزاء الثقافة

[1] حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز، ص 132 .
[2] المرجع نفسه ، ص 83 .
[3] المرجع نفسه ، ص 37 .
[4] أحمد دحبور ، حسين البرغوثي ، كما أراد بين اللوز و الرؤيا ، ص 19 .

العربية ، حيث تُشكل وجهاً من وجوه الحياة التي عاشها أجدادنا و آباؤنا و مازلنا نحياها ... ليبقى الشعب الفلسطيني قادراً على امتلاك مقومات وجوده ، فالأغنية الشعبية تعد نمطاً من أنماط التعبير الذي يجد فيه الفلسطيني متنفساً عما يجيش في نفسه من مشاعر ، سواء أكانت فرحاً أم ترحاً ، إذ لا تخلو حياة شعب من زواج و نجاح ، و ميلاد و غيرها من المناسبات السعيدة ."[1]

و للأغنية الشعبية القدرة على وصف الحالة النَّفسية مهما كان نوعها فهي تلامس وجدان المتلقي ، و تجعله في حالة إصغاء ، كما أنها تمتاز بإيقاع يجعلها خفيفة على الأذن و مقبولة لدى السَّامع ، إضافة إلى ذلك أنها " تعد من أكثر أنواع الأدب الشعبي استجابة لتسجيل الأحداث ، و المواقف و الظواهر ، و تعود هذه الاستجابة لصفاتها من بساطة ، و انتشار و عفوية ، و جماعية كما أنها تتَّصف بتنوع أشكالها الفلكلورية ، و ثباتها و قدرتها على استيعاب كلمات و مصطلحات حديثة ، و متنوعة ."[2]

و قد ذكر حسين البرغوثي عدداً من الأغاني لا بأس به في سيرته منها الأغاني الشعبية الخاصة بالمجتمع الفلسطيني ، و منها ما غنَّته فيروز و أول ما يصادفنا من الأغاني الشعبية هي ما غناه الرَّجل الذي ورث الربابة عن قدورة بعد أن هجر الغناء منذ عام النكبة 1948 إلى أن غنّى في زفاف ابنه : " جيبولي العرق بيضا في كأس ".

[1] ينظر : هديل حسن المشهراوي ، الشعر الحر الشعبي في التراث الفلسطيني ، مجلة الكلم ، مجلد7، ع2 ، جامعة غزة ، فلسطين ، 2022.12.02 ، ص 29 .

[2] المرجع نفسه ، ص 29 .

. و قَالولي : افرح بعد ما شاب راسي ."[1]

و لهذه الكلمات سطوة و مغزى بعيد ، فهو مع توقفه للغناء شعر بأنه شاب و فقد صوته مثلما فقد وطنه ، و في أغنية أخرى هي من نوع " الشروقي و هو شعر غنائي تراثي شعبي حزين منتشر ، لها مكانة مرموقة و يُردِدها الناس في مناسبات الحزن عادة ."[2]

وردَ هذا النَّوع من الغناء بعد التقاء الأديب بعجوز كانت في جنازة طفل استشهد ، تقول فيها مخاطبة حسين البرغوثي :

". يخليك الله حجر رخام

. لا ينزاح و لا ينقام

. لا برغبة الحسّاد و لا بنية الحكّام

. يخليك الله حجر البيت

. و يمد سنين طويلة في عمرك

. مدّ الزَّيتون في الزيت ."[3]

و الملاحظ أنه حتى في الأغاني توجد تلك اللَّمسة الفلسطينية ، فهي أغنية منقولة بالعامية ، كما أن فيها ملامح خاصة كدُعائها له بأن يمد الله في سنينه مدَّ الزيتون في الزيت ، فكانت الصورة مستوحاة من التراث الفلسطيني الخالص .

[1] حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 43 .

[2] هديل حسن الشهراوي ، ، الشعر الشعبي في التراث الفلسطيني ، مجلة الكلم ، ص 30 .

[3] حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 57 .

كما كان للغربة في أغانيهم الشَّعبية نصيب ، فتغني إحداهن :

" . يا راكبين الخيل زوروني حبيبتكُم

. و إن قصرت الخيول

. شدُّوا لي همتكم ."[1]

و تقول أخرى :

". لا تطلعي على السلالم

. هب الهوا غربي

. ويش يحرق القلب ... غير الليل و الغربة ."[2]

لمحة الحزن تلك التي تطغى على هذه الأغاني الشعبية ، تعود بالأساس إلى المعاناة التي تمر على هذا الشعب الصَّامد ، فهو شعب يحاول أن يعبر عن آلامه ، و أحزانه و أحلامه في أغنية !

و بما أن حسين البرغوثي كان شاعراً ، قبل أن يكون كاتباً ، فإنه قد أورد أغنية شعبية نظَمها بنفسه حيث كان في المنفى ، يقول فيها :

" . فَرسِي معي

. فرسِي الأصيلة و البارودَ و العباية ، و النَّشب مفتول

. عمك حط قلبه في النَّشب لما فتل ."[3]

---

[1] حسين البرغوثي، سأكون بين اللوز، ص 75 .

[2] المرجع نفسه ، ص 76 .

[3] المرجع نفسه ، ص 102 .

و الكلمات التي يستخدمها ، هي كلمات متعلقة بالمجتمع الفلسطيني المحافظ ، و تمثل الرجل الفلسطيني الفلاَّح الذي يفتل شنبه ، و يرتدي العباية ، كما أنه لا يَخفى لنا العلاقة القوية التي تربط العربي بالفرس و التي هي رمز العروبة ، و الأصالة ، و يكرر في آخر الأغنية :

" . عمَّك حياته قاسية

. فرسه معه

. فرسه الأصيلة و البارودة و العباية

. عمره ما طاق الذُّل بين الأراضي الوَاطية ."[1]

لهذه الأبيات علاقة بالمنفى ، حينما عاش في المجر ، و هي أرض منخفضة ، عبَّر عن ذلك بقوله الأراضي الواطية ، التي تعني عند أهل المشرق الأراضي المنخفضة ، و بالتالي يرى بأنه الرَّجل العربيّ القحّ الذي لا تناسبه الغربة ، و لا يطيق المنفى .

كما لا " تمل سيرة حسين البرغوثي من استذكار الأصوات الطازجة الدافئة : شعر محمود درويش ... مثل شعبي ... أمثولة موروثة ... فيروز ... المزيد من فيروز ، و من فيروز يحضره غناؤها الحريري : أنا من بلد الحكايات ."[2]

فقد استحضر أغانيها ثماني مرات ، فكان يجيب عن بعض الأسئلة بأغانيها ، و يصف بها ما يشعر به في الدّير ، كانت أغانيها تُؤنسه في مرضه ، و كانت فلسطين بالنسبة له ، بلد الحكايات و الخرافات و القصص التي سمعها من أمه ... ، بلداً وَجده في أغانيها حيث غنَّت :

[1] حسين البرغوثي، سأكون بين اللوز، ص 102 .

[2] أحمد دحبور ، حسين البرغوثي كما أراد بين اللوز و الرؤيا ، ص 20 .

" . إنت من وين ؟

. أنا من بلد الحكايات ."[1]

و كلَّما كان يزور الجبل في اللَّيل أو يجلس قرب الزَّيتون مع غروب الشَّمس يتذكر قولها :

. " كنا أنا و الليل نمشي عالهدا

. و يقلي : لعتِّم الدنيا عليك ...

. توصل ، و ما يشوفك حدا ."[2]

و كأنه يعاتب اللَّيل على عتمته بأغنيات فيروز ...، و يصف لنا حالته بأنَّه مثل الشَّجر التائه في مهبِّ الرِّيح ." لم يبقَ له شيئ إلا جسده ، بل بقايا جسده ،"[3] جسداً يشبه ما غنته فيروز :

. " يا شجرة واقفة بمهب الهوا ...

. مثلك أنا : شجرة على مفرق طرق ."[4]

هذه السِّيرة المشحونة بالأغاني الشَّعبية " و هذا الاستدعاء لأغاني فيروز بنبرة مزدوجة بين البراءة ، و الحسّ الرِّيفي ، و التكثيف في استحضار الأغاني مرتبط بالصوت أساساً . إنَّها مؤثرات صوتية لهذا المشهد الكوني المهيب ، و هي إيقاظ لحاسّة الرؤية قبل حاسّة السَّمع لدى شاعر يواجه الموت .

[1] حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 95 .
[2] المرجع نفسه ، ص 101 .
[3] المرجع نفسه ، ص 115 .
[4] المرجع نفسه ، ص 116 .

هكذا تأتي الأغاني بمثابة خطوط تحت الكلمات ، و هي الحوار الذي أنشأه حسين البرغوثي مع الطبيعة في مكاشفة ناذرة ."[1]

. ختاماً لهذا المبحث فإن حسين البرغوثي كان يستعين بالموروث الفلسطيني ، و ذلك يثبت مدى تمسكه بالأرض ، فكان يُعرّف بهويته و يفتخر بانتمائه لها ، فكانت الأساطير مستوحاة من بيئته ، و كان الرَّمز يخدم تُراثه ، كما أن الأغاني الشَّعبية ذات طابع فلسطيني بامتياز و عربي مشرقي لاعتزازه بقوميته العربية ، مما جعل السِّيرة تخرج بحُلَّة جديدة سيرة زاخرة بالثقافة الفلسطينية ، فكانت وجهاً من أوجه التَّعريف بهذه الأرض .

المبحث الثالث : بناء الموضوعات التي عالجتها مدونة سأكون بين اللوز .

لقد حاول حسين البرغوثي في عِزّ مرضه أن ينوع من موضوعاته في سيرته ، بحيث يجعل منها سيرة بلد عِوضَ أن تشمله وحده ، فأدرج ضمنها موضوعات خاصة به ، و أخرى تخص المجتمع الفلسطيني كافَّة و لعل ما يجعل للأدب الفلسطيني خصوصيةً نادراً ما نجها في أدب غيره . هو التيمات التي يتطرق لها ، و من الموضوعات التي ميزت هذه السيرة نجد :

1.3: الاحتلال : نلمس قضية الاحتلال ، و ما خلفه من دمار باعتباره المأساة الأولى التي واجهت الأدب ، و منه اتَّخذ حسين البرغوثي من الحديث عن " النَّكبة التي حلَّت على الشعب الفلسطيني عام 1948 ، و ما حدث خلالها من قتل و دمار و خراب ، و إرهاب ، أدَّى إلى تهجير قصري للناس من ديارهم ، و أرضهم التي ورثوها عن أبائهم ، و أجدادهم وسيلة لرفض الواقع الجديد

[1] ينظر : أحمد دحبور ، حسين البرغوثي كما أراد بين اللوز و الرؤيا ، ص 26 .

."[1]و لكنه يجعل من عام النكبة عاماً للانبعاث من جديد بحيث يربط هذه السَّنة بزرع جنائن اللوز على الرَّغم من الاحتلال و الحرب و الألم إلا أنهم لم يستغنوا عن الأرض ، و أشجارها فيؤكد على السَّنة : " كان أبي قد زرع جنائن بيتنا باللوز سنة 1948 ،"[2] ليُكرِّر ذلك جازماً " الأشجار ... التي زرعها أبي حول بيتنا سنة 1948 ."[3]

ثم يهين هذا الاحتلال الغاشم بأنه مهما فعل و مهما حاول أن يكون صاحب الأرض إلا أنه ، " لن يلمس التَّاريخ و لو كان عرَّافاً ."[4]

ليُهين بعدها المستعمرات الإسرائيلية ، و التي تظنُّ بأنَّها عن طريق تغيير أسماء الأمكنة قد تُغير التَّاريخ ، و لكن هيهات فالمستعمرات " لم تلمس الأرض و لا التاريخ بعد ."[5]

و يَعُد لنا الطُّرق الخسيسة التي تستعملها المخابرات الإسرائيلية لتزرع الخائنين في البلد مثلما فعلت مع " الرَّاعي الذي اشترت له كلاب صيد كَفَّخ ليخون إخوته ، و يكون مصيره في الأخير مأساوياً باعتباره جاسوساً ."[6]

---

[1] حسين محمد حسين الصليبي ، الرواية الفلسطينية و تجلياتها الفنية و الموضوعية في الأرض المحتلة بعد اتفاقية أوسلو 1992 ، رسالة استكمال لمتطلبات الحصول على درجة الماجيستر من قسم اللغة العربية ، كلية الآداب الجامعة الإسلامية ، غزة ، 2008 ، ص 75 .

[2] حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 53 .

[3] المرجع نفسه ، ص 59 .

[4] المرجع نفسه ، ص 36 .

[5] المرجع نفسه ، ص 36 .

[6] الرجع نفسه ، ص 51 . 52 .

و لم يسلم حتى الشَّجر من هذا المستعمر الغاشم بحيث أنَّهم كانوا يقتلون كل من يكون في طريقهم ، بل حتى إنَّ الأشجار لم تسلم من أذاهم فيقول : " المستعمرون يحرقون جبل زيتون في قرية ما في الشَّمال ... الدُّخان و النَّار ، و الرِّيح تسفوهما في الأفُق ، و الوهج يضيئ الأودية ."[1]

و قد كان للسجين نصيب من هذه السِّيرة ، بحيث حاول حسين البرغوثي أن يَعدَّ لنا الألم الذي يشعر به السَّجين ، و العذاب الذي يتلقاه من قِبل الاحتلال ، فيقول على لسان أستاذ البيولوجيا "جميل أبو سعدا" الذي تشوه وجهه ، و هو يحدق في الماء ، حين يعترف لأديب قائلاً : "هنا قضيت ليالي كاملة يا حسين ، في هذا الماء نفسه لم أستطع الجلوس و لا الوقوف!" [2] ، أمام هذه المعاناة يقف حسين البرغوثي ، و الذي لم يبق له سوى جسده الذي أنهكه المرض ، يقف عاجزاً عن تقبل الخسارة و منهزماً لأن " الاسرائليين صادروا طفولته " [3] ، يرى نفسه مهزوماً و بلا حيلة أمام احتلال ممتد ، فيرثي نفسه قائلاً :" خسارة أن تولد ، و تموت في زمن مهزوم بوعي ، مهزوم و خائف ... خسارة أن تفقد نفسك إلى هذا الحدّ " [4]، و يبرر خسارة العرب أمام المحتل بقوله :" عندما يفقد أحد ماضيه تماماً ، تستطيع أن تصنع بمستقبله ما تشاء ، لأنه فقد ظلَّه الممتد في التَّاريخ [5]".

[1] حسين البرغوثي، سأكون بين اللوز، ص 114 .
[2] المرجع نفسه، ص 79 .
[3] المرجع نفسه ، ص 52 .
[4] المرجع نفسه ، ص 115 .
[5] المرجع نفسه ، ص 115 .

و لعل أسوء فعل للمحتل في نظر الأديب هو اعترافه بأن هذا المستعمر قد يحاول حرمانه من هويته و تاريخه ، و يعبر عن ذلك بقوله : " جسد شلح تاريخه أو شلحوه إياه ."[1]

و يرى بأن الحفاظ على التاريخ هو الحفاظ على الهويَّة ، لأن " هويته تأتي من تاريخه و روحه " [2] ، و لكن هذا المستعمر المحتل همُّه كلُّه أن يطمس التَّاريخ فيعبر قائلاً : لكنهم شلحوني تاريخي ... و لم أعد إلا شجرة على مفرق طرق "[3] ، و على الرَّغم من كل هذا الظلم ، و الاضطهاد إلا أنَّه من رحم المعاناة ولد النَّص .

2.3:الاغتراب و الشَّتات :

لعل فكرتي الاغتراب ، و الشَّتات كانتا الحل الوحيد في نظر حسين البرغوثي ، و هما نتيجة لهذا الاحتلال الذي نفاه من وطنه ، و أبعده عن دياره ، " و يشير الاغتراب إلى حالة تَحوُل الكائن إلى خارج ذاته و تجاوز ذاته ، و قد استخدمت كلمة الاغتراب في العلاقات الإنسانية لتدل على الإحساس الذاتي بالغربة ، و الانسلاخ سواء عن الذات أو الآخرين ."[4]

و لم يكن الاغتراب برضى الفرد ، و إنَّما بسبب الظروف الاجتماعية و السِّياسية للبلاد ، ما يجعل الكثير من الأدباء يغتربون عن أوطانهم .

---

[1] حسين البرغوثي، سأكون بين اللوز، ص 116 .

[2] المرجع نفسه ، ص 118 .

[3] المرجع نفسه ، ص 118 .

[4] يحي الجبوري ، الحنين و الغربة في الشعر العربي ، الحنين إلى الأوطان ، دار مجدلاوي للنشر و التوزيع ، الأردن ، ط 1 ، 2008 ، ص 16 .

أما الشَّتات الذي وَجهه لحياة أخرى ، فيعرف بأنه " البعثرة ، و اقتلاع الإنسان الفلسطيني من جذوره ليعيش بعيداً عن تلك الجذور ، و أحيانا بعيداً عن أهله ، يعاني التمزق و الألم بعد أن فقد كل شيئ تقريباً ."[1]

إذ يمكن القول بأن الاغتراب أقل حدّة من الشَّتات ذلك لأن الأخير لا يكون باختيار الفرد ، و إنما هناك ظروف قاهرة تجعل من الإنسان مشتتاً أما الاغتراب فقد يكون أحياناً لأجل العمل أو الدِّراسة أو لظروف أخرى و لكن الشَّتات يكون بالدرجة الأولى بسبب القهر ، و الاستعمار أو الحروب ، و هكذا .

و في هذه السِّيرة اغتراب طوعي نلمسه في قول حسين البرغوثي في بداية سيرته ، و التي تبدأ باعترافه " بعد ثلاثين عاماً أعود إلى السَّكن في ريف رام الله ، إلى هذا الجمال الذي تمت خيانته طوعاً عن بداياتي ."[2]

و طوعاً هنا تشير إلى أنَّه غادر بإرادته الخاصَّة ، و كان السَّبب الأول يعود إلى اكماله دراسته العليا في الخارج ، و في اعتراف آخر يقول : " اخترت المنفى ، و أنا ممن يتقنون البدايات ."[3]

أي أنه في هذه السنوات التي مضت اختار المنفى ، و لكن نهايته كانت لا بدّ أن تكون في الوطن ، و بين اللوز ، و يقول كذلك " ثلاثون عاماً في منفى طوعي ."[4]

---

[1] ماجدة حمود ، النقد الأدبي الفلسطيني في الشتات ، مؤسسة عيبال للدراسات و النشر ، ط1 ، 1992 ، ص 11 .

[2] حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 33 .

[3] المرجع نفسه ، ص 33 .

[4] المرجع نفسه ، ص 102 .

أي إرادي لا دخل فيه لأحد ، أما مظاهر الشَّتات فنلمسها على مدى صفحات السِّيرة ، شتات يخصه ، و يخصُّ أهله و البقية من شعب بلده يعبر عنه بمدى اشتياقه لآثار وطنه بعد الحروب التي مزَّقت البلد فتحول المنفى الطَّوعي عنده إلى منفى إجباري ، و شتات جماعي ، لا علم له بإمكانية عودته إلى الوطن ، فيقول خائفا على مستقبل ابنه الذي اشتقَّ اسمه من آثار فلسطين ، و سماه آثر ، و الذي يخاف عليه من الشَّتات فيقول : " سميته آثر ، و لم أدر أنني سأعود به نحو آثاري و ما أثرت ."[1]

و كأنه الخوف من المستقبل المجهول ، و حتى بعد العودة إلى البلد مازال هاجس الشَّتات يلاحقه ، هاجس جعله يفكر بالذهاب إلى بلد آخر خوفاً على أُسرته الصغيرة ، نلمس الخوف في قوله لزوجته : إن علينا أنا و هي و آثر أن نهاجر إلى كندا ... ربما قبل أن تنتشر رائحة الموت أكثر ... الفرار ."[2] و لعله أبلغ حين وصف شتاته بأبيات لمحمود درويش يقول فيها:

. "سَليقَةَ كُلِّ نَهرٍ لاَ يُفتِّشُ عَن ثَبَات

. يَجْرُون فِي الدُّنيَا

. لعَلَّ الدَّربَ يَأخُذُهم

. إلى دَربِ النَّجاة مِن الشَّتات ."[3]

[1] حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 58 .
[2] المرجع نفسه ، ص 62 .
[3] المرجع نفسه ، ص 106 .

فحسين البرغوثي يشبه النَّهر يسير دائماً ، و يجري لعل حياته كلها مرَّت هكذا ، فيمكننا القول بأن حسين يملك نهراً بداخله ، و يعبر قائلاً " رجعت إلى هذا البيت ... عبر درب النجاة من الشَّتات ."[1]

فالنَّجاة بالنسبة له هي العودة إلى البيت بعد ثلاثين عاماً من الشتات ..

و التشبيه الآخر الذي حاول أن يُسقطه على نفسه ليُعبر عن شتاته و تشرُّده هو اعترافه قائلاً : " منذ زمن و أنا أطير كعصفور سفَّته الرِّيح بطريقة مائلة ، و أتجنب كي أرى."[2]

تكمن بلاغة الصورة في ضعف العصفور ، و تلاعب الريح بأجنحته

و هو منذ زمن عصفور تائه .

3.3: المرض :

إنَّ عملية إنتاج النَّص تعود بالأساس لأسباب عدّة ، فتكون رغبة الكاتب ابداء رأيه أو إفادة المتلقي ، و قد يكتب ليعبر عن ذاته ، و عن انفعالاته و آلامه ، أي أن تكون الكتابة لباعث نفسي مرَّ به ، و هذا ما نميزه قي هذه السِّيرة ، فجزء كبير فيها يكمن في التعبير عن نفسه ، و جزء كبير منها " تجسيد رحلة مريض السرطان ، و العلاج النفسي ، و الجسمي الذي يخضع له و معاناته الطويلة مع المرض ، و العلاج ."[3]

---

[1] حسين البرغوثي، سأكون بين اللوز، ص 106 .

[2] المرجع نفسه، ص 116 .

[3] هدى بنت عبد الرحمن إدريس الدريس ، الذات في مواجهة السرطان لا وعي النص في سيرة حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 201 .

و الحديث عن المرض عند حسين البرغوثي يختلف عن حديث أيّ مريض عن معاناته ، لأنه يتحدث عنه كأنه مشكل ، و سيمر ، أو عائق و يحاول بكل الطُّرق تجاوزه ، و يضعنا الأديب " في بؤرة الحدث من المشهد الأول ... ليقف القارئ مباشرة أمام ذات مريضة متألمة تُعلن إصابتها بالسرطان ."[1]

فنحن لا نعلم الخلفية وراء الإصابة بهذا المرض ،كل ما نعرفه هو ما بدأ به سيرته ، و الحديث عن سبب عودته إلى فلسطين في قوله : "أرجعني إلى هنا مرضي بالسرطان ، و وجع في أسفل الظّهر مستمر إلى حد الملل." [2]

لنقف أمام ذات تتصادم مع المرض ، و نجده راضياً لقوله:" و المرض عندي وجهة نظر في الحياة."[3]

و رِضاه هذا كان بعد اكتشافه بإصابته بالسرطان لا بالآيدز ، لقوله:" السرطان وردة ، نعمة إلهية ، أمنيتي أن أكون مصاباً به لا بالآيدز."[4]

أما أثناء انتظار نتائج الفحص ،كان في حالة هلع ، و خوف شديد ، حالة وصفها بأنها " تشبه نص رامبو ، فصل في الجحيم ."[5]

---

[1] هدى بنت عبد الرحمان إدريس الدريس ، الذات في مواجهة السرطان لا وعي النص في سيرة حسين البرغوثي سأكون بين اللوز ، ص 189 .

[2] حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 33 .

[3] المرجع نفسه ، ص 33 .

[4] المرجع نفسه، ص 63 . 64 .

[5] المرجع نفسه ، ص 64 .

و بعدها يكتشف بأنه مصاب بسرطان الغدد الليمفاوية ، و هنا يقف مع ذاته في مواجهة الصَّدمة الأولى ، ذات تقف أمام شعورين متناقضين فرح بأنه لم يُصب بالآيدز ، و صدمة من مواجهة السَّرطان ، حالة يصفها قائلاً: " خرجت من المستشفى شارداً لا بُكاء و لا فرح ، و فجأة وضعت رأسي على عرق صنوبرة في الشارع ، و انفجرت في بكاء مر ، و قديم ... جاء دوري الآن لكي لا أشعر ببترا ، و لا بآثر ، بل بنفسي و نجاتهما."[1]

تلك الحالة التي مرت به خلال أسبوع استطاع أن يوصلها لنا في جملة تحمل ثقل تلك الأيام،" و استطاع السارد أن يجسد حالة الصراع الدَّاخلي المكبوت طوال مدة أسبوع الجحيم ، و قد عبر عنها بهذه الحركات و الأفعال الخارجية التي تعكس العمق الدَّاخلي للذات ، و تجعلنا ندرك ... ما يشعر به المريض دون الحاجة إلى سرد لفظي طويل ."[2]

ثم يدخل الأديب في مرحلة أخرى أصعب و أشقّ ، و هي العلاج طويل المدى ، الذي يتمحور حول العلاج الكيماوي ، و مدى أثره في الحالة النَّفسية ، و الجسدية للمريض ، تتلخص في قوله :" و بالكاد أتنفس بسبب ورم جديد في الرئة ، و أطل عليَّ شبح الموت ... ، و لكن الورم اشتد و لم أعد قادراً على التنفس ، و ضاق صدري بما فيه ."[3]

و بعد هذه المعاناة يصف لنا علاجه الكيماوي ، و مدى الألم الذي شعر به أثناء العلاج ، فيقول: " جسمي كله منتهك مُخّرم من الإبر ، و بقع سوداء و خضراء في ذراعي ، و دمي ...

[1] حسين البرغوثي، سأكون بين اللوز، ص 65 .

[2] هدى بنت عبد الرحمان إدريس الدريس ، الذات في مواجهة السرطان ، لا وعي النص في سيرة حسين البرغوثي سأكون بين اللوز ، ص 190 .

[3] حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 77 . 78 .

ليترات أدوية تكفي لأعرف ما معنى مطر الكيمياء ... محلول أحمر حمرة قانية في كيس بلاستيكي يثير الغثيان لاحقاً سيصيبون منه لترات في دمي ."[1]

و أمام هذا العلاج المؤلم بحدّ ذاته ، و الذي اثَّر على شكله يصفه لنا قبل العلاج ، و أثناءه فيقول :" كان شعري طويلاً جداً ، و أشقر و أجعد و يتدلى ضفائر على كتفي ،" [2] أما أثناء العلاج فيقول :" حلقت شعري كله بشفرة ، و بَزغت صلعة تلمع في صفرة الضوء كهوية جديدة ، و مدهونة بزيت الزيتون ..."[3] ، و يَعدُّ آثار العلاج الكيماوي الذي أنهكه ، و هدَّ جسده ، فيصف حالته " بدأت أعرق في الليل ... حتى أن قميصي قابل لأن أعصره ، و كأنه كان منقوعا في حوض ماء ، وجع غريب في البطن و الظهر ، و إنهاك و فقدان وزن ، و شهية و حكّة تحت الجلد ، و انهرت ."[4] و أمام هذا الألم تتولد لديه رغبة الهروب من كل شيئ ، " و نسمع ردة فعله اتجاه هذا الحدث تنطلق من أعماقه ، و تعلن رغبته في الهروب و التخلص من هذا الموقف ."[5]

فيعبر عن رغبته الهائجة ، و التي نفهم منها انه يحاول الفرار بجلده نحو الأرض ، فيقول : " فأنا أرغب أيضاً أن أنزع الإبر من ظهر يدي و أستفرغ كل ما في بطني ، و في ذهني ، و أحمل كتبي ، و جلدي و ثيابي و أغادر إلى الدّير الجواني ، و إلى جنائن اللّوز ."[6]

---

[1] حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 79 .

[2] المرجع نفسه ، ص 117 .

[3] المرجع نفسه ، ص 118 .

[4] المرجع نفسه ، ص 62 .

[5] هدى بنت عبد الرحمن إدريس الدريس ، الذات في مواجهة السرطان ، لا وعي النص في سيرة حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 194 .

[6] حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 80 .

إنَّ هذا الصِّراع النَّفسي ، و الجسدي بين الذات المنهكة ، و المرض تقودنا إلى دائرة أكبر تتمحور حول الصِّراع القائم بين التمسك بالحياة أو الرغبة في الموت .

4.3: جدلية الحياة و الموت :

إنَّ الإنسان منذ الأزل مرهون بهذين المتناقضين ، جزء منه محب للحياة وجزء يختلف فيه خاص بالموت باعتباره الحقيقة المطلقة ، فلا بد لكل إنسان من أَجَلٍ ، و هذا ما يجعله في حالة هلع ، و قلق مستمرين خوفاً من شبح الموت الذي يطارده ، و كلاً من الحياة ، و الموت قد تطرق إليهما الأدباء و الشعراء ، و لكن نظرتهم للموت تختلف من أديب لآخر فأحيانا يكون مدعاةً للخوف ، و القلق ، و هاجسا يؤرق الأديب ، و أحيانا يصبح رمزاً للراحة النفسية من هموم الحياة ، و هذه السِّيرة مشحونة بالمعاناة ، و منها يتولد احتمالين إمَّا الأمل بالعيش و التمسك بالحياة أو فقدان الأمل ، و الاستسلام للموت ، و أمام هذا الصِّراع نجد حسين البرغوثي يصرخ في وجه المرض " اكتشفت بأنني ابن الحياة لا الموت."[1]

لطالما كان الموت قريباً منه في المستشفيات ، و مجسداً في ضحايا الحرب كامناً في مرضه ، دائماً كان قريب منه ، " و أصبح الموت على الأرض الفلسطينية أمراً مألوفاً ... تَعودَهُ الفلسطينيون ، و صاروا يمارسونه طقساً يومياً ."[2]

[1] حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 62 .

[2] رائد وليد جرادات ، جدلية الحياة و الموت في شعر محمود درويش ، مجلة دراسات ،مجلد 40 ، ع 3 ، العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، الجامعة الأردنية ، 2013 ، ص 758 .

و لم يسلم من الموت لا النساء ، و لا الأطفال ، و لا المرض الذي هو من ضمنهم ، فيصف لنا حالته و هو في المستشفى ، يقول:" جرحي و شهداء و أنا تائه ، أسأل عن دكتور أمراض الدم ، فتردُّ ممرضة متوترة : نحن في حالة طوارئ ، ألا ترى ؟ فأدرك أنَّني شخص زائد عن الحاجة مريض متطفل يمشي نحو مصيره وحده بهواجس فردية ، لست زائراً و لا معافى و لا جريحاً ، و لا على وشك الشهادة ، بل مريضاً عادياً ، أيُّ لفظة حائرة بين قاموسيْ الموتى و الأحياء ."[1]

فمواجهة المرض وحده جعلته خائفاً من المستقبل المجهول الذي ينتظره خائفاً من الموت وحده.

و كان هاجس الموت يُؤرقه بحيث كانت رائحة الموت تنتشر في كل مكان ، و على الرغم من ذلك ، فقد تمسك بالحياة لذا " اتَّخذ من تقنية السرد وسيلة لمقاومة المرض ، و مجابهته إذ أنه لجأ إلية ليعيد ترتيب ذاته ... و بعد أن أصبح جسده مقيماً إقامة جبرية تحيط به أسوار المستشفى فلا يتنفس هناك سوى رائحة الموت ."[2]

و الحياة و الموت تتشكلان بداية ، و تظهران أثناء الولادة و يلاحظ السارد ذلك في المستشفى ، و يصفه :" كنَّ يَلدن و يُولدن في الطَّابق العلوي فوق ، و يُحفظن في ثلاجة الموتى تحت ، لكن رأيتهن ."[3]

[1] حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 34 .

[2] هدى بنت عبد الرحمن إدريس الدريس ، الذات في مواجهة السرطان ، لا وعي النص في سيرة حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 192 .

[3] حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 37 .

فهو رأى ذلك التمسك بالحياة أمام ناظريه ، و عايشه و تعايش معه و على الرغم من كل تلك المعاناة يقف السَّارد في وجه الموت صامداً مخاطباً ذاته " حتى لو بَقِيت لك سنتان للعيش ، فإن سنتين هنا أعمق من قرنين هناك قاوم! هذه الأرض لك قاوِم !."[1]

إذاً فالتَّمسك بالحياة ، و تلك القوة التي نستشعرها لدى حسين البرغوثي يستمدها بالدَّرجة الأولى من حبِّه للأرض و الوطن ، و يستمد منهما حبَّ الحياة ، فبعد أن شاهد تفتح زهور الرمان الحمراء ، خاطب ذاته قائلا:" لقد استيقظت الأشياء لا تنم أنت ! " [2] ، أي لا تمت و لا تختفي ، و لا تتلاشى ، لقد واجه حسين البرغوثي المرض ، و تعايش مع الاحتلال و الحرب ، واجه كل ذلك ، و تمسّك قدر المستطاع بالحياة ، و لكن أحسَّ بأنَّ الموت يقترب منه رويداَ رويداً ، ذلك ما جعله يُفكر في الموت بجديّة و يتساءل " ليس متى ، أو كيف أموت ، و لا حتى ثنائية الأمل و الهلاك بل ماذا سأخلق من نفسي الآن ، كيف ستكون نهايتي احتفالا سامياً ببداياتي."[3]

فأصبح يفكر في اللحظة التي يعيش فيها لا غير ، و من تلك اللَّحظة يصنع حياته الخاصَّة ، و حين يتأكد من أن لا مفر من الموت يجيب بأنه من الأساس :" لا أحد سيعرف أين [4]أذهب ! "

ليتركنا في نهاية السيرة أمام شيئ تمنى حدوثه ، و لكن الوقت لم يسعفه فيتخيل :

[1] حسين البرغوثي، سأكون بين اللوز، ص 62 .

[2] المرجع نفسه ، ص 84 .

[3] المرجع نفسه ، ص 86 .

[4] حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 128 .

" أنا شفيت من السرطان ... و تزرع لي أمي مكونات صحن السلطة من ثوم و بندورة ، و بصل بلدي ، صحن السلطة الذي سأحتفل به بالحياة ."[1]

و يترك هذه السيرة بنهاية مفتوحة ، و يصعد كما تخيل " هناك سلالم الرّوح إلى سماء الحديد الفرعونية ، فاصعد! "[2]

و يبقى الموت الحقيقة التي لا مفر منها ، فهو الطَّرف الغالب دائماً فالإنسان يولد ، و يُخلّف و من ثم يرجع للمكان الذي أتى منه و كأنه لم يكن.

[1] حسين البرغوثي، سأكون بين اللوز ، ص 131 .
[2] المرجع نفسه ، ص 132 .

الخاتمة

الخاتمة:

تعتبر السّيرة الذّاتية موضوعاً يفتح الأبواب للباحث ، كما أنها كانت جنساً زاخراً في الأدب الفلسطيني ، و بعد رحلة البحث هذه و التي قامت على الأنموذج المتمثل في سيرة سأكون بين اللوز لحسين جميل البرغوثي توصلنا إلى مجموعة من النتائج يمكن حصرها كالآتي:

- ✓ السّيرة الذّاتية جنس له بوادر غربية قديمة ، و عربية ، و هو قائم بذاته له مميزات تُفرقه عن المذكرات و الرّسائل و غيرهما.
- ✓ إنَّ قراءة السّيرة الذّاتية تُمكننا من معرفة الحقبة التي كُتبت فيها ، و هي بالتالي تُساهم في حِفظ التَّاريخ من الضياع.
- ✓ عَرف الغرب السِّيرة الذَّاتية ابتداءً من اعترافات أوغسطين وصولاً إلى اعترافات جون جاك روسو ، و من كَتب بعده .
- ✓ عَرف العرب السِّيرة الذَّاتية بمصطلح التَّراجم ، كما ارتبطت بسيرة الرَّسول عليه الصَّلاة و السّلام.
- ✓ وصل جنس السِّيرة الذَّاتية عند العرب إلى ذروته مع الأديب طه حسين و الأدباء الذين اطلعوا على الآداب الغربية .
- ✓ تتداخل السِّيرة الذَّاتية مع الرِّواية و تشكلان معاً السِّيرة الرِّوائية التي تأخذ من السِّيرة الواقع ، و من الرِّواية التخييل .

- ✓ إنَّ الدَّافع الذي جعل الأدباء الفلسطينيين يكتبون سِيَّرهم هو الاحتلال الذي طمس التاريخ ، و كذا محاولة مشاركة معاناتهم.
- ✓ السِّيرة الذَّاتية في فلسطين هي تدوين للواقع من منظور المستعمَر .
- ✓ حافظت سيرة سأكون بين اللوز على الميثاق السِّير ذاتي الذي نلمسه من خلال توظيف شخصيات حقيقية ، و ضمائر المتكلم .
- ✓ امتازت سيرة حسين البرغوثي بوجود التَّطابق بين المؤلف و السّارد و الشَّخصية .
- ✓ وظف حسين البرغوثي اللّغة الفنية بالإضافة إلى العامية و بعض العبارات الإنجليزية .
- ✓ احتفت سيرة حسين البرغوثي بالزمن الطّبيعي ، و الزّمن النَّفسي لأنها كانت تعالج مواضيع حساسة مرتبطة بالزمن .
- ✓ توظيف الأسطورة و الرمز بأنواعه في سيرة سأكون بين اللوز بكثافة للحفاظ على التراث الفلسطيني من الزّوال .
- ✓ جاء دور الأغنية الشَّعبية في السِّيرة بهدف المواساة النَّفسية من الآلام و الحرمان.
- ✓ إنَّ موضوعات السِّيرة متداخلة فيما بينها ، فالموت في الغالب ناتج عن الاحتلال كما أن الاغتراب و الشَّتات نتيجة حتمية له .
- ✓ المرض جوهر سيرة حسين البرغوثي باعتباره الموضوع الأساسي الذي عالجه .

و في الأخير نقول بأن هذا البحث قد تمَّ بحمد الله ، و الذي كان لنا شرف المحاولة ، و خوض غِمار هذه التَّجربة الممتعة في ظل الأدب الفلسطيني الذي ما يزال يصارع الاحتلال

، و يفرض نفسه ، و نحن على يقين بأنَّ بحثَنا ما هو إلا فاتحة بحوث أخرى ، فنرجوا أن نكون قدّ وفقنا ، فإن أصبنا فمن الله ، و إن أخطأنا فمن أنفسنا و من الشيطان .

الملاحق

- **التعريف بالكاتب :**

" حسين جميل البرغوثي ، أديب و شاعر ذو أصول فلسطينية ، ينتمي لعائلة البرغوثي الثورية ، كتب في الرواية ، و السيرة و النقد كذلك و نظم الشعر ، ولد في قرية كوبر في رام الله عام 1954 ، ثم تلقى تعليمه الأول في مسقط رأسه ، و حصل على درجة البكالوريوس في الأدب الإنجليزي من جامعة بيرزيت عام 1983 ، و على درجتي الماجيستر و الدكتوراه في الأدب المقارن في جامعة سياتل في عامي 1985 . 1992 "[1] ، و " قد امتهن التدريس ، فكان أستاذاً جامعياً في كلا من جامعتي بيرزيت ، و القدس ، و توفي في الثامنة و الأربعين من عمره عام 2002 بعد إصابته بمرض السرطان ."[2]

و عدى كونه محاضراً جامعياً فإنه إستطاع أن يشتغل في مناصب أخرى منها " فقد كان عضواً مؤسساً في المركز الثقافي الفلسطيني (بيت الشعر الفلسطيني من سنة 1997 إلى غاية سنة 2000 ."[3]

كما ازدهر نشاطه الثقافي ،" فكان عضواً في الهيئة الإدارية لإتحاد الكتاب الفلسطنيين 1999 . 2002 ."[4]

[1] هدى بنت عبد الرحمن إدريس الدريس ، الذات في مواجهة السرطان لا وعي النص في سيرة حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 201 .

[2] المرجع نفسه ، ص 201 .

[3] ينظر : حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 137 .

[4] المرجع نفسه ، ص 137 .

إضافة إلى ذلك فإن حسين البرغوثي دخل عالم المجلات الأدبية ، فكان ما " بين سنتي 1997 و 2001 مدير تحرير لمجلة الشعراء ، و رئيس تحرير لمجلة أوغاريت لعاميين متتاليين 1997 . 1996 ."[1]

يعد حسين البرغوثي من الأدباء واسعي الثقافة ، و كان يُدرج الفلسفة فيما يكتب ، و" ساهم في إضافة الثقافة الإنسانية على الكتابة الفلسطينية ثقافة ليست شهيدة ، و لا متوترة ، و لا متشنجة ، و لا محاصرة في خندق معين ... بل ممتدة و عالمية بُنيت نتيجة إطلاعه على تاريخ الفلسفة الغربية ، و الشعر الفرنسي ، و الأمريكي ، و الإنجليزي ، والمسرح اليوناني ، و المدارس الفنية و الفلسفة (الدادية و السريالية و الوجودية)."[2]

فتحضر الثقافات المختلفة في نتاجه الفني ، و نجدها مبثوثة في أعماله السردية و الشعرية على حد سواء.

. آثار حسين البرغوثي :

تميَّزت مؤلفات حسين البرغوثي بالتنوع ، فكان له من كل حقل نصيب و من أهم مؤلفاته نجد :

1. في الرواية :

- الضفة الثالثة لنهر الأردن : دار الكتاب القدس 1983 .

[1] حسين البرغوثي، سأكون بين اللوز، ص 137 .

[2] خولة أحمد محمد الجعفري ، البنية السردية في شعر حسين البرغوثي ، رسالة استكمال لمتطلبات الحصول على درجة الماجيستر في اللغة العربية و آدابها ،كلية الدراسات العليا ، الجامعة الأردنية ، 2015 ، ص 6 . 7 .

2 . في السِّير الذَّاتية :

- الضوء الأزرق : بيت الشعر الفلسطيني و بيت المقدس للنشر و التوزيع 2001 .

- سأكون بين اللوز : المؤسسة العربية للدراسات و النشر 2004 .

- الفراغ الذي رآى التفاصيل : دار البيرق العربي للنشر و التوزيع .2006

3. في النقد:

- أزمة الشعر المحلي : دار صلاح الدين للنشر ، القدس 1979 .

4. في النصوص المسرحية:

- لا لم يمت ، مسرح الحكواتي ، باريس 2002.

- جوه : مسرح القصبة القدس 1997 .

. ملخص سيرة سأكون بين اللوز :

هي الجزء الثاني المكمل لسيرة الضَّوء الأزرق ، و هما سيرتان منفصلتان ، إذ يمكن قراءة الجزء الثاني دون التطرق إلى جزءها الأول و هي من الحجم المتوسط تقع في حوالي المائة صفحة ، و الطبعة التي اعتمدنا عليها هي الأولى ، و التي صدرت سنة 2004 عن المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، يزين غلاف السِّيرة لوحة فنية بريشة الفنان الياباني توشيموتسو إيماي تظهر لأغصان شجرة متشابكة ببعضها البعض.

في الأعلى اسم الكاتب بخط كبير و متناسق مع اللوحة ، أما في الأسفل فعنوان السيرة بخط أكبر قليلاً ، صُدرت هذه الطبعة بافتتاحية للشاعر الفلسطيني أحمد دحبور عُنونِت بحسين البرغوثي كما أراد بين اللوز و الرؤيا " و كانت في حوالي العشرين صفحة " .

ضمت السِّيرة ثلاثة فصول ، كان الأول و الثاني دون عناوين ، أما الثالث حمل عنوان " عندما لا تجيئ الثعالب ، فقام الناقد الفلسطيني مراد سوداني بمراجعة أوراق حسين البرغوثي ، و مقاومة فصول الكتاب و اقترح عنوان الفصل الأول "الدير الجواني ، و الفصل الثاني أطلق عليه عنوان : بلد الحكايات "[1]

تدور أحداث السِّيرة حول الأديب و الشاعر حسين البرغوثي ، و الذي يأخذنا معه في رحلة طويلة المدى إثر إصابته بالسرطان .

تبدأ السيرة إبان عودته إلى مسقط رأسه ، مدينة رام الله ، و بالتحديد إلى قرية كوبر في بيت العائلة ، و هناك يبدأ علاجه ، و تبدأ معه استرجاع ذكريات الطفولة ، و استحضار القصص ، و الأساطير المتعلقة بالمكان .

يبدأ بالحديث عن زيارته للمستشفى ، و كيفية معاملة الممرضات له و مقارنته بالمصابين إثر الاحتلال ، و بالشهداء ، فيصبح في نظرهم مجرد مريض بسيط مقارنة مع هؤلاء ، ثم في خِضّم المرض يستحضر ماضي والدته ، و التي تم تبنيها من عائلة صعبة المراس يترأسها رجل يُدعى " قدورة " ، ثم يُكمل قصَّ الحكايا التي عايشها هو أوعائلته .

[1] حسين البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، ص 132 .

و يعود بالسرد ، و الحديث عن أسرته الصغيرة زوجته بترا و ابنه آثر ، و عن خوفه من الإصابة بالآيدز ، ليكتشف بعدها بأنه مصاب بالسرطان لتبدأ معه رحلة العلاج ، و يُحدثنا أثناء ذلك عن البيت الذي يعيش فيه و الذي تلفه أشجار لوز و تين و صنوبر ، و تزرع فيه أمه النعناع ، و البصل و الثوم ، يحكي لنا عادات أهله ، و عن الأساطير التي كبر و هو يسمعها ، يُحدثنا عن الإنتفاضات ، و عن الإحتلال ، و عن سفره للأردن من أجل العلاج ، و يستذكر الإرث الذي تركه لنا الأجداد ، و المتمثل في جامعة البتراء و القدس ، و ما خلفته لنا الحضارة الفرعونية ، و يرثي الحالة التي وصل لها العرب ، و أنهم قوم لم يحافظوا على هذا الإرث الكبير .

يستشهد في سيرته بالأدب العالمي على غرار دوستويفسكي و تشيخوف و غيرهما ، أما من الأدب العربي فيتشهد بالمتنبي ، و محمود درويش و أغاني فيروز ، و غيرهم الكثير

يعود من رحلته إلى فلسطين ، و إلى رام الله ليكمل بقية أيامه هناك بين الجبل ، و جنائن اللوز ، لتصعد روحه إلى بارئها يوم 01 . 05 . 2002 و لتبقى هذه السيرة بنهاية مفتوحة

المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع

المصادر :

1. إبراهيم نصر الله ، زمن الخيول البيضاء ، الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت لبنان ، ط6 . 2012 .

2. إميل حبيبي ، سرايا بنت الغول ، رياض الريس للكتب و النشر ، ط1 1992 .

3. حسين البرغوثي ، الضوء الأزرق ، المؤسسة العربية للدراسات

4. حسين جميل البرغوثي ، سأكون بين اللوز ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2004 .

5. فدوى طوقان ، الرحلة الأصعب ، دار الشروق للنشر و التوزيع الأردن ، ط1 ، 1993

6. فدوى طوقان ، رحلة جبلية رحلة صعبة ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، عمان الأردن ، ط2 ، 1985 .

7. مريد البرغوثي ، رأيت رام الله ، المركز الثقافي العربي ، بيروت لبنان ط4 ، 2011 .

. المصادر المترجمة :

1. إدوارد سعيد ، خارج المكان ، تر: فواز طرابلسي ، دار الآداب بيروت ط1 ، 2000

. المراجع :

. المراجع العربية :

1.إحسان عباس ، فن السيرة ، دار صادر ، بيروت لبنان ، ط1 1992 .

2.أحمد بن علي آل مريع ، السِّيرة الذَّاتية مقربة الحد و المفهوم ، دراسة نقدية محكمة ، صامد للنشر و التوزيع ، الرياض ، ط3 ، 2010 .

3.أحمد عطية أبو مطر ، الرواية في الأدب الفلسطيني ، (1950.1975) منشورات وزارة الثقافة و الإعلام ، بغداد ، 1980 .

4.تهاني عبد الفتاح شاكر ، السيرة الذاتية في الأدب العربي ، فدوى طوقان و جبرا ابراهيم جبرا و إحسان عباس نموذجا ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت لبنان ، ط 1 ، 2002 .

5.جهينة عمر الخطيب ، تطور الرواية العربية في فلسطين 48 ،(1948. 2012) ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت لبنان .

6.جورج طرابيشي ، الأعمال النقدية الكاملة ، ج 3، دار مدارك للنشر دبي ، الإمارات العربية المتحدة ، ط1 ، 2013 .

7.حاتم الصّكر ، كتابة الذّات ، دراسات في وقائعية الشعر ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، ط1 ، 1994.

8.خليل الشيخ ، السيرة و المتخيل ، قراءات في نماذج عربية معاصرة دار أزمنة للنشر و التوزيع ، عمان ، ط1 ، 2005 .

9. سيزا قاسم ، بناء الرواية ، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ مهرجان القراءة للجميع ، 2004 .

10. شعبان عبد الحكيم محمد ، السِّيرة الذَّاتية في الأدب العربي الحديث مؤسسة الورَّاق للنشر و التوزيع ، عمان . الأردن ، ط1 ، 2015 .

11. شكري المبخوت ، سيرة الغائب . سيرة الآتي . السِّيرة الذاتية في كتاب الأيام لطه حسين ، دار الجنود للنشر ، تونس ، 1992 .

12. صالح معيض الغامدي ، كتابة الذات ، دراسات في السيرة الذاتية المركز الثقافي العربي ، ط1 ، بيروت لبنان ، 2013 .

13. عبد العزيز شرف ، أدب السِّيرة الذَّاتية ، مؤسسة الأهرام للنشر و التوزيع ، القاهرة مصر ، 1992

14. عبد الله إبراهيم ، السرد و الاعتراف و الهوية ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت ، ط1 ، 2011 .

15. عبد الله إبراهيم ، السردية العربية ، المركز الثقافي العربي ، ط1 الدار البيضاء المغرب ، 1992 .

16. علي جعفر العلاق ، في حداثة النص الشعري ، (دراسات نقدية) دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1 ، 1990 .

17. فاروق وادي ، ثلاث علامات في الرواية الفلسطينية ، غسان كنفاني إميل حبيبي ، جبرا إبراهيم جبرا ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر بيروت لبنان ، ط1 ، 1981 .

18. فراس السواح ، الأسطورة و المعنى ، دراسات في الميثولوجيا و الديانات المشرقية ، دار علاء للنشر و التوزيع ، دمشق ، ط2 ، 2002

19. كامل السوافيري ، الأدب العربي المعاصر في فلسطين (1960.1860) ، دار المعارف ، القاهرة .

20. ماجدة حمود ، النقد الأدبي الفلسطيني في الشتات ، مؤسسة عيبال للدراسات و النشر ، ط1 ، 1992 .

21. محمد الباردي ، عندما تتكلم الذات ، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق سوريا .

22. محمد الدَّاهي ، الحقيقة الملتبسة ، قراءة في أشكال الكتابة عن الذَّات شركة للنشر و التوزيع المدارس ، ط1 ، الدار البيضاء المغرب ، 2007 .

23. محمد بوعزة ، تحليل النص السردي ، تقنيات و مفاهيم ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2013 .

24. محمد عبيد الله ، رواية السيرة الغيرية قضايا الشكل و التناص و الجدل التاريخي و التخييلي ، دراسة في رواية مي ، ليالي إيزيس كوبيا لواسيني الأعرج ، دار كاتارا للنشر ، ط1 ، قطر ، 2020 .

25. نبيل خالد أيو علي ، عناصر الإبداع الفني في شعر عثمان أبو غريبة اتحاد الكُتاب الفلسطنيين ، القدس ، ط1 ، 1999.

26. يحي إبراهيم عبد الدَّايم ، التَّرجمة الذَّاتية في الأدب العربي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت لبنان .

27. يحي الجبوري ، الحنين و الغربة في الشعر العربي ، الحنين إلى الأوطان ، دار مجدلاوي للنشر و التوزيع ، الأردن ، ط1 ، 2008 .

. المراجع المترجمة:

1. أ أ. مندلاو ، الزمن و الرواية ، تر: بكر عباس ، دار صادر ، بيروت ط1 ، 1997

2. دنيال منديلسون و آخرون ، قضايا أدبية ، نهاية الرواية و بداية السِّيرة الذَّاتية ، تر: حمد العيسى ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت لبنان ط1 ، 2011.

3. فيليب لوجون ، السِّيرة الذَّاتية ، الميثاق و التاريخ الأدبي ، تر: عمر حلي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1994 .

. المعاجم و الموسوعات :

1. ابراهيم فتحي ، معجم المصطلحات الأدبية ، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين ، تونس ، دط . دت .

2. ابن منظور ، لسان العرب ، ج4 ، دار صادر ، بيروت لبنان ، ط3 1994 .

3. عبد الله إبراهيم ، موسوعة السرد العربي ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت لبنان ، ط2 ، 2008 .

4. عبد النور جبور ، المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين ، لبنان ، ط2 1984 .

5. الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، تح : أنس محمد الشامي و زكرياء جابر أحمد ، دار الحديث ، القاهرة مصر ، 2008.

6. لطيف زيتوني ، معجم مصطلحات نقد الرواية ، مكتبة لبنان ناشرون دار النهار للنشر ، بيروت لبنان ، ط1 ، 2002 .

7. محمد القاضي و آخرون ، معجم السرديات ، دار تالة ، الجزائر ، ط1 2010

8. المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية ، مصر ، 1989.

9. نواف نصَّار ، المعجم الأدبي ، دار ورد للنشر و التوزيع ، الأردن، ط1، 2007

. الرسائل و الأطروحات :

1. حسين محمد حسين الصَّليبي ، الرواية الفلسطينية و تجلياتها الفنية و الموضوعية في الأرض المحتلة بعد اتفاقية أوسلو ، 1992 ، رسالة ماجيستر ، كلية الآداب ، الجامعة الإسلامية غزة ، 2008.

2. خولة أحمد محمد الجعفري ، البنية السَّردية في شعر حسين البرغوثي رسالة ماجيستر ، كلية الدراسات العليا ، الجامعة الأردنية ، 2015 .

3. رُلى يوسف صبحي عصفور ، الرمز في الشعر الفلسطيني المعاصر (فواز نصار و محمد القيسي و أحمد دحبور أنموذجا) ، أطروحة دكتوراه كلية الدراسات العليا ، الجامعة الأردنية ، 2013 .

4. زاوش رحمة ، التمرد في السرد السِّير ذاتي النسائي العربي المعاصر سيرة نوال سعداوي أنموذجا ، رسالة ماجيستر ، جامعة السانيا ، وهران 2011 . 2012 .

5. عبد القوي أحمد ، السيرة و التخييل في رواية (أنثى السراب لواسيني الأعرج) ، رسالة ماجيستر ، جامعة السانيا ، وهران ، 2011 . 2012 .

6. محمد شهري ، الخطاب السّير ذاتي في الرواية الجزائرية المعاصرة قراءة في تجارب : هوامش الرحلة الأخيرة لمحمد مفلاح و مزاج مراهقة لفضيلة فاروق و مقامات الذاكرة المنسية لحبيب مونسي ، أطروحة دكتوراه ، جامعة مستغانم ، الجزائر ، 2017 . 2018 .

7. محمود موسى محمود زياد ، الأدب الفلسطيني في سجون الاحتلال الاسرائيلي ، 1987 . 2000 ، رسالة ماجيستر ، كلية الدراسات العليا جامعة بيرزيت ، فلسطين ، 2006 .

8. ناصر بركة ، أدبية السِّيرة الذَّاتية في العصر الحديث ، رسالة دكتوراه جامعة الح اج لخضر ، باتنة الجزائر ، 2012 . 2013 .

. المجلات و الدوريات :

1. راوية حبشي ، انزياح الميثاق السِّير ذاتي و سؤال التجنيس ، رواية الهجالة لفتيحة بوروينة نموذجا ، مجلة اشكالات في اللغة و الأدب جامعة بسكرة الجزائر ، مج 10 ، ع3، 2021 .

2. رائد وليد جرادات ، جدلية الحياة و الموت في شعر محمود درويش مجلة دراسات ، الجامعة الأردنية ، مج40، ع3، 2013 .

3. رجاء مستور ، المكونات السِّيرية في الرواية الجزائرية "لقبش لعياش يحياوي" أنموذجا ، جسور المعرفة ، الجزائر ، مج7. ع5، 2021 .

4. زبير بن سخري ، الإعتراف في سيرة حسين البرغوثي سأكون بين اللوز ، مجلة ميلاف للبحوث و الدراسات ، المركز الجامعي بو الصوف ميلة ، مج8، ع1 ، 2022.

5. سامية بابا ، السيرة الذاتية و تداخلها مع الأجناس الأدبية الأخرى دراسة في التأصيل و التشكيل ، مجلة لغة الكلام ، جامعة غليزان الجزائر مج 9 ، ع1 ، جانفي ، 2023 .

6. طيبي بوعزة و علي كبريت ، تجليات السيرة الذَّاتية في الرواية العربية الحديثة ، رواية المرايا لنجيب محفوظ أنموذجا ، مجلة البدر ، جامعة بشار الجزائر ، مج9 ، ع7 ، 2017 .

7. عايدة فحماوي ، المكان و الإنسان في السِّيرة الذَّاتية الرّوائية الفلسطينية " أم الزينات " نموذجا لكتابة التاريخ الشفوي ، مجلة الدِّراسات الفلسطينية ربيع ، 2022 .

8. عبد المجيد البغدادي ، فن السِّيرة الذَّاتية و أنواعها في الأدب العربي مجلة القسم العربي ، جامعة بنجاب لاهور ، باكستان ، ع23 ، 2016 .

9. عبد المجيد حنون ، الموروث الأسطوري في الأدب العربي الحديث و الأدب المقارن ، مجلة اشكالات ، المركز الجامعي تامنغست الجزائر ع11 ، 2017 .

10. علي مصباح ، عن السِّيرة الذَّاتية في الكتابة العربية ، مجلة الكرمل ع61 ، 1 . 10 . 1999 .

11. فيصل الدَّراج ، إميل حبيبي تقنية الحكاية و بناء السّيرة الذَّاتية ، مجلة الكرمل ، ع 52 ، 1997 .

12. قاسمي عبد النَّاصر ، السِّيرة الذَّاتية و ثقافة المقاومة في مذكرات إدوارد سعيد " خارج المكان " مجلة علوم اللغة العربية ، جامعة الوادي الجزائر ، مج15 ، ع1 ، 2023.

13. ليلى رحامنية ، السيرة الذَّاتية و الرواية ، الميثاق و الحدود ، مجلة المدونة ، مخبر الدراسات الأدبية و النقدية ، جامعة سوق أهراس الجزائر ع5 ، 2016 .

14. هدى بنت عبد الرحمن إدريس الدريس ، الذَّات في مواجهة السرطان لا وعي النص في سيرة حسين البرغوثي سأكون بين اللوز ، مجلة الدراسات اللغوية و الأدبية ، الجامعة الإسلامية لبعالمية ، ماليزيا ، ع2 2021 .

15. هديل حسن المشهراوي ، الشعر الحر الشعبي في التراث الفلسطيني مجلة الكلم ، جامعة غزة فلسطين ، مج7 ، ع2 ، 2022 .

16. ويزة غربي ، التحايل على الميثاق السِّير ذاتي في السِّيرة الذَّاتية النِّسائية ، قسم اللغة العربية و آدابها ، جامعة البليدة 2، 30 . 12 . 2018.

17. ويزة غربي ، التَّطابق الثلاثي في الميثاق السِّير ذاتي من الإعتراف إلى المخاتلة ، بحث في المرجعية ، جسور المعرفة ، الجزائر ، مج8 ع1 ، 2022.

فهرس الموضوعات

فهـرس المحتويات

شكـر و عرفـان .....

الإهــداء .....

مقدمة: ..... أ

المدخـل :أبجديات السّيرة الذّاتيّة .....**5**.....

1. السّيرة الغيرية .....**5**.....

2-مفهوم السّيرة الذّاتية: .....**7**.....

1. الميثاق السِّير ذاتي .....8.....

2. الصراحة و الصدق: .....9.....

3-الفرق بين المصطلحات المتداخلة مع السيرة الذاتية: .....**11**.....

أ. المذكرات: .....12.....

ب . الاعترافات: .....13.....

ج اليوميات: .....14.....

4. أسباب و حوافز كتابة السيرة الذاتية 14

الفصل الأول: دراسة نظرية في فن السِّيرة الذَّاتية .....

المبحث الأول: حد مصطلح السيرة الذاتية 18

1.1 : إضاءات لغوية للسيرة الذاتية .....18.....

2.1 : ماهية السيرة اصطلاحا .....19.....

3.1. نشأة السيرة الذاتية و تطورها .....25.....

1. . عند الغرب .....25.....

2. . عند العرب .....28.....

أ: قديما .....28.....

ب: حديثا .....30.....

المبحث الثاني: . تعالق السيرة الذاتية مع جنس الرواية 33

المبحث الثالث: . تاريخ السيرة الذاتية في فلسطين. 38

1.3. أثر الواقع الفلسطيني في الأدب السِّيري. .....38.....

2.3 . تجليات الواقع الفلسطيني في بعض النماذج السير ذاتية. 42

الفصل الثاني: البناء الفنّي والموضوعات المشكلة لسيرة سأكون بين اللّوز .....

المبحث الأول : العناصر المشكلة لسيرة سأكون بين اللوز. 51

1.1 . الميثاق سير ذاتي. .....53.....

2.1 . المؤلف و السارد و الشخصية. .....51.....

3.1. اللُّغة. .....51.....

4.1 . الزمن و الرجوع للمكان. .....63.....

المبحث الثاني : ظواهر فنية مميزة للمدونة. .....71.....

2. 1 . الأسطورة. .....71.....

2. 2 . الرمز. .....75.....

2. 3 . الأغاني الشَّعبية. .....83.....

المبحث الثالث : بناء الموضوعات التي عالجتها المدونة. .....89.....

3. 1 . الاحتلال. .....89.....

3. 2 . الإغتراب و الشتات. .....92.....

3. 3 . المرض. .....95.....

3. 4 . جدلية الحياة و الموت. .....99.....

الخاتمة: 104
الملاحق:..... 108
قائمة المصادر والمراجع 114

ملخص:

يهدف البحثُ إلى كشف وتتبع حركة السِّيرة الذَّاتيَّة في فلسطين ،من خلال سيرة حسين البرغوثي " سأكون بين اللّوز" بحيث كان للسِّيرة طابعٌ خاصٌ في هذا البلد المحتل ،ممَّا جعلها تعالج قضايا وطنية ،وهذا ما سنحاول معالجته من خلال بحثنا الموسوم بـ : فنِّ السِّيرة الذَّاتية في فلسطين "سأكون بين اللوز" لحسين جميل البرغوثي أنموذجا.

والذي أبزرنا فيه مدى أثر الواقع الفلسطيني في الأدب السير الذاتي، ورصدنا أهمّ التقنيات الفنيّة التي اِحتوتها السيرة،كما تطرقنا فيه لأهمّ المواضيع التي عالجتها.

Abstract:

The research aims to detect and track the autobiographical movement in Palestine، through the biography of Hussein Al-Barghouti، "I will be among the almonds،" so that the biography had a special character in this occupied country، which made it address national issues، and this is what we will try to address through our research tagged with: The Art of Biography In Palestine، I will be among the almonds" by Hussein Jamil Al-Barghouti as a model.

In which we highlighted the extent of the impact of the Palestinian reality on autobiographical literature، and we rejected the most important artistic techniques that the biography contained، as we touched on the most important topics it dealt with.